المجتمع الصناعي ومستقبله

Industrial Society & Its Future

تيد كازينسكي

Ted Kaczynski

الضابط هاشم

Offizier Hashem

بيان

مُفجر الجامعات والطائرات

The Unabomber Manifesto

ثيودور جون كازينسكي

١٩٩٥

ترجمة

الضابط هاشم

مراجعة لغوية

الحاج چورچي

الطبعة الثالثة

٢٠٢٤

إلى عــليــا، حُــســين ودانــيــال

مقدّمة المترجم

تيد كازينسكي، من أين أبدأ؟

هل أبدأ بالتعريف بالرجل؟ اسمه ومولده وتاريخه في سرد يثقل على الرأس التفكير به وعلى اليد كتابته؟ جُلّ ما على أحدكم أن يفعله هو تحريك أنامله على شاشة هاتفه الذكي ليصل إلى الطرف الآخر من العالم بكامل الحرية، أو هكذا تظنون!

لن أحكي لكم عن الرجل، لكن سأقول ما آمل أن يقيكم شر الدعاية المحيطة بقصته.

سيقولون لك "فوضوي مجنون، متطرف بيئي، مجرم بلا قلب، رجل بلا مغامرات نسائية، معتوه آخر من نتاج التجارب النفسية..."

حسنًا، دع عنك كل تلك المسميات التي ما قيلت إلا لتُسفّه نبوءته التي أصبحنا نعيشها ليل نهار، أيّاً كان لونك أو دينك أو عقيدتك السياسية.

لا هو بالفوضوي ولا بالمعتوه، بل عبقري أدرك ما سيكون، وصاغ كل تلك الأحاديث الجانبية التي نتحسر بها على حالنا في مقال يعجز الإنسان الحديث عن القبول به ليصل إلى جوهر القضية: **المجتمع الحديث وكل ما فيه من امتهان للكرامة البشرية**.

في حين يذوي الرجل ذو الثمانين خريفاً في سجنه (تُوفي الرجل قبل صدور الطبعة الثالثة في ١٠ يونيو ٢٠٢٣)، تزداد رسالته انتشارًا يومًا بعد يوم، لأن الحقيقة لا يمكن إخفاؤها والواقع الذي تحاولون الهروب منه يُطبق عليكم بلا رحمة، شئتم أم أبيتم.

عرفاناً له ولما قام به أقدم لكم ترجمتي لبيانه.

مقدّمة

١. لقد كانت الثورة الصناعية ونتائجها كارثة على الجنس البشري. لقد زادت بشكل كبير من متوسط العمر المتوقع لأولئك منا الذين يعيشون في البلدان "المتقدمة"، لكنها زعزعت استقرار المجتمع، وجعلت الحياة غير مُرضية، وأخضعت البشر للإهانات، وأدت إلى انتشار المعاناة النفسية (والجسدية أيضاً في العالم الثالث) وألحقت أضرارًا جسيمة بالعالم الطبيعي. التطور المستمر للتقنية سيزيد الوضع سوءًا. ومن المؤكد أنها ستعرض الإنسان لإهانات أكبر والحياة الطبيعية لأضرارٍ أخطر، وربما تؤدي إلى مزيد من الاضطراب الاجتماعي والمعاناة النفسية، وقد تؤدي إلى زيادة المعاناة الجسدية حتى في البلدان "المتقدمة".

٢. قد يستمر النظام الصناعي التقني أو ينهار. إذا نجا، **فلربما** يحقق في نهاية المطاف مستوى منخفضاً من المعاناة الجسدية والنفسية، ولكن فقط بعد مرور فترة طويلة ومؤلمة للغاية من التكيف وفقط على حساب التقليل الدائم من البشر والعديد من الكائنات الحية الأخرى إلى منتجات هندسية ومجرد تروس في الآلة الاجتماعية. علاوة على ذلك، إذا استمر النظام، فستكون العواقب حتمية: لا توجد طريقة لإصلاح أو تعديل النظام لمنعه من حرمان الناس من الكرامة والاستقلالية.

٣. إذا انهار النظام، فستظل العواقب مؤلمة للغاية. ولكن كلما كبر النظام كلما كانت نتائج انهياره أكثر كارثية، لذلك إذا كان النظام سينهار، فمن الأفضل أن ينهار عاجلاً وليس آجلاً.

٤. لذلك نحن ندعو إلى ثورة ضد النظام الصناعي. هذه الثورة قد تستخدم أو لا تستخدم العنف. قد تكون مفاجئة أو قد تكون عملية تدريجية نسبيًا تمتد لعقود قليلة. لا يمكننا التنبؤ بأي من ذلك. لكننا نحدد بشكل عام الإجراءات التي يجب على من يكرهون النظام الصناعي اتخاذها من أجل تمهيد الطريق لثورة ضد هذا الشكل من المجتمع. هذه ليست ثورة سياسية. سيكون هدفها الإطاحة ليس بالحكومات ولكن بالأسس الاقتصادية والتقنية للمجتمع الحالي.

٥. نولي اهتمامًا في هذا المقال لبعض التطورات السلبية التي نتجت عن النظام الصناعي التقني. تطورات سلبية أخرى سوف نشير إليها فقط إشارةً عابرة أو حتى سنتجاهلها تمامًا. هذا لا يعني أننا نعتبر هذه التطورات الأخرى غير مهمة. لأسباب عملية علينا أن نُقصِر مناقشتنا على المجالات التي لم تحظ باهتمام الجمهور الكافي أو التي لدينا فيها شيء جديد نقوله. على سبيل المثال، نظرًا لوجود حركات بيئية أو بريّة منظمة جيدًا، فقد كتبنا القليل جدًا عن التدهور البيئي أو تدمير الطبيعة البريّة، رغم أننا نعتبرها في غاية الأهمية.

نفسية اليسارية الحديثة

٦. سيتفق الجميع تقريبًا على أننا نعيش في مجتمع مضطرب للغاية. تُعتبر اليسارية واحدة من أكثر مظاهر جنون عالمنا انتشارًا، لذا فإن مناقشة نفسية اليسارية يمكن أن تكون بمثابة مقدمة لمناقشة مشاكل المجتمع الحديث بشكل عام.

٧. لكن ما هي اليسارية؟ خلال النصف الأول من القرن العشرين، كان من الممكن أن يتطابق اليسار عمليًا مع الاشتراكية. اليوم الحركة مُجزأة وليس من الواضح من يمكن تسميته يساريًا. عندما نتحدث عن اليساريين في هذا المقال، فإننا نضع في اعتبارنا بشكل أساسي الاشتراكيين، الجماعيين، أنماط "الصوابية السياسية"، النسويات، الناشطين (عن حقوق) المثليين والمعاقين ونشطاء حقوق الحيوان وما شابه. لكن ليس كل من يرتبط بإحدى هذه الحركات يساريًا. ما نحاول الوصول إليه في مناقشة اليسارية ليس كحركة أو كعقيدة سياسية بل كنوع نفسي، أو بالأحرى مجموعة من الأنواع ذات الصلة. وهكذا، فإن ما نعنيه بـ "اليسارية" سوف يظهر بشكل أكثر وضوحًا في سياق مناقشتنا للنفسية اليسارية. (انظر أيضاً الفقرات ٢٢٧-٢٣٠).

٨. ومع ذلك، فإن مفهومنا لليسارية سيظل أقل وضوحًا مما نتمنى، ولكن يبدو أنه لا يوجد أيّ علاج لهذا. كل ما نحاول القيام به هنا هو الإشارة بطريقة تقريبية إلى النزعتين النفسيتين اللتين نعتقد أنهما القوة الدافعة الرئيسية لليسارية الحديثة. نحن لا ندَّعي بأي حال من الأحوال أننا نقول **كل** الحقيقة عن النفسية اليسارية. أيضاً، تنطبق مناقشتنا على اليسارية الحديثة فقط. نترك المجال مفتوحًا للتساؤل لأي مدى يمكن تطبيق مناقشتنا على يساريي القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

٩. النزعتان النفسيتان اللتان تقوم عليهما اليسارية الحديثة نسميهما "مشاعر الدّونية" و"الاجتماعية المُفرطة". إن مشاعر الدّونية هي سمة من سمات اليسارية الحديثة ككل، بينما الاجتماعية المُفرطة هي سمة فقط لشريحة محددة فقط من اليسارية الحديثة؛ لكنها شريحة مؤثرة للغاية.

مشاعر الدّونية

١٠. نعني بـ "مشاعر الدّونية" ليس فقط الشعور بالنقص بالمعنى الحرفي للكلمة، بل نعني أيضاً مجموعة كاملة من السمات ذات الصلة؛ تدنّي احترام الذات، الشعور بالعجز، الميول الاكتئابية، الانهزامية، الشعور بالذنب، كراهية الذات، وما إلى ذلك. نجادل بأن اليساريين المعاصرين يميلون إلى امتلاك بعض هذه المشاعر (ربما تكون أكثر أو أقل كبتاً) وأن هذه المشاعر حاسمة في تحديد اتجاه اليسارية الحديثة.

١١. عندما يفسر شخص ما تقريبًا أي شيء يقال عنه (أو عن المجموعات التي يُعرّف عن نفسه بها) على أنه ازدراء، فإننا نستنتج أنه يشعر بالدّونية أو تدني احترام الذات. يظهر هذا الاتجاه بين نشطاء حقوق الأقليات، سواء أكانوا ينتمون إلى الأقليات التي يدافعون عن حقوقها أم لا. إنهم شديدو الحساسية تجاه الكلمات المستخدمة لتسمية الأقليات وبشأن أي شيء يقال عن الأقليات. لم يكن للمصطلحات "زنجي"، "شرقي"، "معوّق" أو "حُلوة" للإشارة إلى الأفريقي، الآسيوي، الشخص المعاق أو المرأة في الأصل أي دلالة ازدراءية. كانت "مَرَه" و "حُلوة" مجرد مرادفات أنثوية لكلمة "دكر" أو "صاحب". لقد ربط الناشطون أنفسهم الدلالات السلبية بهذه المصطلحات. ذهب بعض نشطاء حقوق الحيوان إلى حد رفض كلمة "حيوان أليف" والإصرار على استبدالها بكلمة "رفيق حيواني". يبذل علماء علم الإنسان اليساريين جهودًا كبيرة لتجنب قول أي شيء عن الشعوب البدائية يمكن تفسيره على أنه سلبي. يريدون استبدال كلمة "بدائية" بكلمة "أُميّة". يبدو أنهم مرتابون تقريبًا من أي شيء قد يوحي بأن أي ثقافة بدائية أدنى من ثقافتنا. (نحن لا نقصد الإشارة إلى أن الثقافات البدائية **أدنى** من ثقافتنا. نحن فقط نشير إلى الحساسية المُفرطة لعلماء الإنسان اليساريين).

١٢. أولئك الأكثر حساسية تجاه المصطلحات "غير الصائبة سياسيًا" ليسوا المعتادين من قاطني الأحياء الفقيرة من السود، المهاجر الآسيوي، امرأة تعرضت للإساءة أو شخص معاق، لكن أقلية من النشطاء، كثيرون منهم حتى لا ينتمون إلى أي مجموعة "مضطهدة" ولكنهم ينتمون إلى طبقات مميزة من المجتمع. فالصوابية السياسية تتبوّأ مكانتها بين أساتذة الجامعات، الذين لديهم وظائف آمنة

بمرتبات مريحة، ومعظمهم من الذكور البيض من الأسوياء جنسيًا سليلي عائلات من الطبقة الوسطى إلى العليا.

١٣. العديد من اليساريين لديهم تماهي شديد مع مشاكل الجماعات التي لديها صورة ضعيفة (نساء)، مهزومة (الهنود الحمر)، منفّرة (مثليين) أو أقل شأناً بأي شكل آخر. يشعر اليساريون أنفسهم أن هذه الجماعات أقل شأناً. لن يعترفوا لأنفسهم أبدًا بأن لديهم مثل هذه المشاعر، ولكن نظرتهم الدّونية لتلك المجموعات تحديدًا هي ما تجعلهم يتماهون مع مشاكلهم. (نحن لا نقصد الإشارة إلى أن النساء، الهنود، وغيرهم، هم **أدنى** منزلة، نحن فقط نوضح نقطة عن النفسية اليسارية).

١٤. إن النسويات حريصات بشدة على إثبات أن النساء قويات وقادرات مثل الرجال. من الواضح أنهن منزعجات بسبب الخوف من أن النساء قد لا يكن بقوة أو قدرة الرجال.

١٥. يميل اليساريون إلى كره أي شيء له صورة قوية وجيدة وناجحة. يكرهون أمريكا، يكرهون الحضارة الغربية، يكرهون الذكور البيض، يكرهون العقلانية. من الواضح أن الأسباب التي يقدمها اليساريون لكراهية الغرب وما إلى ذلك لا تتوافق مع دوافعهم الحقيقية. **يقولون** أنهم يكرهون الغرب لأنه عدائي، استعماري، متحيز جنسيًا وعرقيًا وما إلى ذلك، ولكن حيث تظهر هذه الأخطاء نفسها في البلدان الاشتراكية أو في الثقافات البدائية، يجد اليساري الأعذار لهم، أو في أفضل الأحوال يعترف **على مضض** بوجودها؛ في حين أنه يشير **بحماسة** (وغالبًا ما يبالغ كثيرًا) إلى هذه العيوب حين تظهر في الحضارة الغربية. وهكذا يتضح أن هذه الأخطاء ليست الدافع الحقيقي لليساري لكراهية أمريكا والغرب. يكره أمريكا والغرب لأنهما أقوياء وناجحون*.

* الرجل نشأ في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة والتي سُميت حقبة الطفرة لما حققته الولايات المتحدة والغرب عمومًا من طفرة اقتصادية وعسكرية

١٦. كلمات مثل "الثقة بالنفس"، "الاعتماد على الذات"، "المبادرة"، "المغامرة"، "التفاؤل"، وما إلى ذلك، تلعب دورًا ضئيلاً في المفردات التحررية واليسارية. اليساري مناهض للفردانية، مؤيد للجماعية. يريد من المجتمع أن يحل مشاكل كل فرد عوضاً عن أنفسهم، أن يلبي احتياجات الجميع لهم، أن يعتني بهم. إنه ليس من النوع الذي لديه إحساس داخلي بالثقة في قدرته على حل مشاكله وتلبية احتياجاته الخاصة. إن اليساري مناهض لمفهوم المنافسة لأنه يشعر، في أعماق نفسه، بأنه فاشل.

١٧. تميل الأشكال الفنية التي تروق للمفكرين اليساريين المعاصرين إلى التركيز على القذارة، الهزيمة واليأس، أو بدلاً من ذلك فإنها تأخذ نبرة العربدة، متخلصة من السيطرة العقلانية كما لو لم يكن هناك أمل في تحقيق أي شيء من خلال التفكير المنطقي وكل ما تبقى هو أن تغمر نفسك في أحاسيس آنية.

١٨. يميل المفكرون اليساريون الحديثون إلى رفض العقل والعلم والواقع الموضوعي والإصرار على أن كل شيء نسبي ثقافيًا. صحيح أنه يمكن للمرء أن يطرح أسئلة جادة حول أسس المعرفة العلمية وكيف يمكن -إن أمكن أصلاً- تعريف مفهوم الواقع الموضوعي. لكن من الواضح أن المفكرين اليساريين المعاصرين ليسوا مجرد علماء منطقيين هادئين يحللون بشكل منهجي أسس المعرفة. إنهم متورطون عاطفيًا في هجومهم على الحقيقة والواقع. إنهم يهاجمون هذه المفاهيم بسبب احتياجاتهم النفسية. من ناحية، إن هجومهم هو منفذ للعدائية، وبقدر نجاحه، فإنه يشبع الحاجة للشعور بالقوة. والأهم من ذلك، أن اليساريين يكرهون العلم والعقلانية لأنهما يصنفان معتقدات معينة على أنها صحيحة (أي ناجحة، متفوقة) ومعتقدات أخرى على أنها خاطئة (أي فاشلة، متدنية). إن مشاعر الدّونية لدى اليساري عميقة لدرجة أنه لا يستطيع تحمل أي تصنيف لبعض الأشياء على أنها ناجحة أو متفوقة وأمور أخرى بأنها فاشلة أو متدنية. وهذا أيضاً يكمن وراء رفض العديد من اليساريين لمفهوم المرض العقلي وفائدة اختبارات معدل الذكاء. اليساريون معادون للتفسيرات الوراثية للقدرات والسلوك البشري لأن مثل هذه التفسيرات تميل إلى جعل بعض الأشخاص يبدون أعلى أو أدنى من الآخرين. يفضل اليساريون منح المجتمع الفضل أو اللوم على قدرة الفرد أو عدمها.

وبالتالي، إذا كان الشخص "أدنى" فهذا ليس خطأه، بل خطأ المجتمع، لأنه لم يتم تربيته بشكل صحيح.

١٩. اليساري ليس عادة من النوع الذي تجعله مشاعر الدّونية متبجحًا، متفاخرًا، متنمرًا، مروجًا للذات أو منافسًا لا يرحم. على الأقل هذا النوع من الأشخاص لم يفقد الثقة في نفسه تماما بعد. صحيح أن لديه عيب في إحساسه بالقوة وتقدير الذات، ولكن لا يزال بإمكانه تصور نفسه على أنه يمتلك القدرة على أن يكون قويًا، وجهوده لجعل نفسه قويًا تنتج سلوكه المزعج. [1] لكن اليساري بعيد كل البعد عن ذلك. إن شعوره بالدّونية متأصّل لدرجة أنه لا يستطيع تصور نفسه كفرد قوي وذي قيمة. ومن هنا جاءت جماعية اليساريين. يمكن أن يشعر بالقوة فقط كعضو في منظمة كبيرة أو حركة جماهيرية يُعرّف نفسه بها.

٢٠. لاحظ النزعة المازوخية للأساليب اليسارية. يحتج اليساريون من خلال الاستلقاء أمام المركبات، فهم يستفزون عمدًا الشرطة أو العنصريين لإساءة معاملتهم، وما إلى ذلك. قد تكون هذه الأساليب فعالة في كثير من الأحيان، لكن العديد من اليساريين يستخدمونها ليس كوسيلة لتحقيق غاية ولكن لأنهم **يفضلون** الطرق المازوخية. كراهية الذات هي سمة يسارية.

٢١. قد يزعم اليساريون أن نشاطهم مدفوع بالشفقة أو المبادئ الأخلاقية، وأن المبدأ الأخلاقي يلعب دورًا لليسار من النوع المُفرط اجتماعيًا. لكن الرأفة والمبدأ الأخلاقي لا يمكن أن يكونا الدافعين الرئيسيين للنشاط اليساري. العدائية هي عنصر بارز جدًا في السلوك اليساري. هكذا هو الدافع للسُلطة. علاوة على ذلك، فإن الكثير من السلوك اليساري لا يُحسب بشكل عقلاني ليكون مفيدًا للأشخاص الذين يدّعي اليساريون أنهم يحاولون مساعدتهم. على سبيل المثال، إذا اعتقد المرء أن الدمج الإجباري* مفيد للسود، فهل من المنطقي المطالبة بالدمج الإجباري بعبارات عدائية أو متعصبة؟

* قانون أمريكي يُترجم قانونيًا "بالتميز الإيجابي" ظهر منذ ستينيات القرن العشرين وانتشر في دول أخرى تحت مسمى "المحاصصة"، يتلخص بأنه "تمييز مضاد" لإلحاق مجموعات في التوظيف أو التعليم أو الأعمال أو الحياة السياسية - بدأ بالأفريقيين الأمريكيين ثم امتد لكل من يُعرّف نفسه بأنه أقلية/مضطهد/ضحية - بعلّة السعي لإصلاح التميز الذي مُورس ضدهم

من الواضح أنه سيكون من الأفضل اتخاذ نهج سياسي وتصالحي من شأنه أن يقدم على الأقل تنازلات لفظية ورمزية للأشخاص البيض الذين يعتقدون أن الدمج الإجباري يميز ضدهم. لكن النشطاء اليساريين لا يتخذون مثل هذا النهج لأنه لن يلبي احتياجاتهم العاطفية. مساعدة السود ليست هدفهم الحقيقي. بدلاً من ذلك، توفر التوترات العرقية ذريعة لهم للتعبير عن عدائيتهم وحاجتهم المُحبطة للسُلطة. وهم بذلك يضرون في الواقع بالسود، لأن موقف النشطاء العدائي تجاه الأغلبية البيضاء يميل إلى تأجيج الكراهية العرقية.

٢٢. إذا لم يكن مجتمعنا يعاني من مشاكل اجتماعية على الإطلاق، لكان على اليساريين **اختراع** مشاكل لكي يوفروا لأنفسهم ذريعة لإثارة الضجة.

٢٣. نؤكد أن ما تقدم لا يدّعي أنه وصف دقيق لكل من يمكن اعتباره يساريًا. إنه مجرد مؤشر تقريبي على نزعة عامة لليسارية.

الاجتماعية المُفرطة

٢٤. يستخدم علماء النفس مصطلح "التنشئة الاجتماعية" لوصف العملية التي يتم من خلالها تدريب الأطفال على التفكير والعمل حسب متطلبات المجتمع. يُقال إن الشخص يكون اجتماعيًا إذا كان يؤمن بالقواعد الأخلاقية لمجتمعه ويطيعها وبكونه جزء فعال من ذلك المجتمع. قد يبدو من غير المعقول أن نقول إن العديد من اليساريين مُفرطين اجتماعيًا، حيث يُنظر إلى اليساري على أنه متمرّد. ومع ذلك، يمكن الدفاع عن هذا الرأي. كثير من اليساريين ليسوا متمرّدين كما يبدون.

٢٥. إن القانون الأخلاقي لمجتمعنا يتطلب الكثير بحيث لا يمكن لأحد أن يفكر ويشعر ويتصرف بطريقة أخلاقية تمامًا. على سبيل المثال، لا يفترض بنا أن نكره أي شخص، لكن الجميع تقريبًا يكره شخصًا ما في وقت ما أو آخر، سواء اعترف بذلك لنفسه أم لا. بعض الناس مُغالون في اجتماعيتهم لدرجة أن محاولة التفكير والشعور والتصرف بشكل أخلاقي تفرض عليهم عبئًا شديدًا. لتجنب الشعور بالذنب، يتعين عليهم باستمرار خداع أنفسهم بشأن دوافعهم الخاصة والبحث عن تفسيرات أخلاقية للمشاعر والأفعال التي لها في الواقع أصل غير أخلاقي. نحن نستخدم مصطلح "مُفرط اجتماعيًا" لوصف هؤلاء الأشخاص. [2]

٢٦. يمكن أن تؤدي الاجتماعية المُفرطة إلى تدني احترام الذات، الشعور بالعجز، الانهزامية، الشعور بالذنب، وما إلى ذلك. من أهم الوسائل التي يعمل مجتمعنا من خلالها على جعل الأطفال اجتماعيون هي بجعلهم يشعرون بالخجل من السلوك أو الكلام المخالف لتوقعات المجتمع. إذا كان هذا مبالغاً فيه، أو إذا كان طفل معين معرضاً بشكل خاص لمثل هذه المشاعر، فإنه ينتهي بالشعور بالخجل **من نفسه**. علاوةً على ذلك، فإن تفكير وسلوك الشخص المُفرط اجتماعيًا مُقيّد بتوقعات المجتمع أكثر من تلك الخاصة بالشخص الاجتماعي الاعتيادي. ينخرط غالبية الناس في قدر كبير من السلوك المشاغب. إنهم يكذبون، يرتكبون سرقات تافهة، يخالفون قوانين المرور، يتكاسلون في العمل، يكرهون شخصًا ما، يقولون أشياء حاقدة أو يستخدمون بعض الحيل المخادعة للتقدم على الرجل الآخر. لا يستطيع الشخص المُفرط اجتماعيًا أن يفعل هذه الأشياء، أو إذا فعلها فإنه يُولّد في نفسه

إحساسًا بالخزي وكراهية الذات. لا يستطيع الشخص المُفرط اجتماعيًا أن يختبر، دون الشعور بالذنب، أفكارًا أو مشاعر تتعارض مع الأخلاق المقبولة؛ لا يستطيع التفكير في الأفكار "غير الطاهرة". والتنشئة الاجتماعية ليست مجرد مسألة أخلاقية؛ نحن اجتماعيون للتوافق مع العديد من قواعد السلوك التي لا تندرج تحت عنوان الأخلاق. وهكذا فإن الشخص المُفرط اجتماعيًا يتم إبقائه مقيدًا بلجام نفسي ويقضي حياته في الركض على القضبان التي وضعها المجتمع له. وينتج عن هذا في العديد من الأشخاص المُفرطين اجتماعيًا شعورًا بالتقييد والعجز والتي يمكن أن تمثل مشقة بالغة. نحن نقترح أن الاجتماعية المُفرطة هي من بين أكثر صور القسوة التي يمارسها البشر على بعضهم البعض.

٢٧. نحن نجادل في أن شريحة مهمة ومؤثرة للغاية من اليسار الحديث هم مُفرطون اجتماعيًا وأن مغالاتهم الاجتماعية لها أهمية كبيرة في تحديد اتجاه اليسارية الحديثة. يميل اليساريون من النوع المُفرط اجتماعيًا إلى أن يكونوا مثقفين أو أعضاء في الطبقة الوسطى العليا. لاحظ أن المثقفين الجامعيين [٣] يشكلون الشريحة الأكثر اجتماعية في مجتمعنا وأيضاً أكبر شريحة يسارية.

٢٨. يحاول اليساري المُفرط اجتماعيًا أن يتخلص من لجامه النفسي ويؤكد استقلاليته عبر التمرّد. لكنه عادة لا يكون قويًا بما يكفي للتمرّد على أكثر القيم أساسية للمجتمع. بشكل عام، أهداف اليساريين اليوم لا تتعارض مع الأخلاق المقبولة. على النقيض من ذلك، يأخذ اليسار مبدأ أخلاقيًا مقبولاً، ويتبناه على أنه مبدأ خاص به، ثم يتهم المجتمع السائد بانتهاك هذا المبدأ. أمثلة: المساواة العرقية، المساواة بين الجنسين، مساعدة الفقراء، السلام في مقابل الحرب، اللاعنف بشكل عام، حرية التعبير، الرفق بالحيوانات. والأهم من ذلك هو واجب الفرد في خدمة المجتمع وواجب المجتمع لرعاية الفرد. كانت كل هذه قيمًا متجذرة بعمق في مجتمعنا (أو على الأقل الطبقات الوسطى والعليا) [٤] لفترة طويلة. تم التعبير عن هذه القيم صراحةً أو ضمنيًا أو بافتراض مسبق في معظم المواد المقدمة إلينا من قبل وسائل الاتصال الإعلامية الرئيسية والنظام التعليمي. لا يتمرّد اليساريون، خاصةً المُفرطين اجتماعيًا، عادةً ضد هذه المبادئ ولكنهم يبررون

عداءهم للمجتمع من خلال الادعاء (بدرجة من الحقيقة) بأن المجتمع لا يلتزم بهذه المبادئ.

٢٩. فيما يلي توضيح للطريقة التي يُظهر بها اليساري المُفرط اجتماعيًا ارتباطه الحقيقي بالمواقف التقليدية لمجتمعنا بينما يتظاهر بأنه في حالة تمرّد ضده. يضغط العديد من اليساريين من أجل الدمج الإجباري، لنقل السود إلى وظائف رفيعة المستوى، من أجل تحسين التعليم في مدارس السود والمزيد من الأموال لهكذا مدارس؛ يعتبرون طريقة حياة "الطبقة الدنيا" السوداء وصمة اجتماعية. يريدون دمج الرجل الأسود في النظام، جعله مديرًا تنفيذيًا للأعمال، محاميًا، عالمًا تمامًا مثل البيض من الطبقة الوسطى العليا. سيرد اليساريون بأن آخر ما يريدون هو تحويل الرجل الأسود إلى نسخة من الرجل الأبيض؛ بدلاً من ذلك، يريدون الحفاظ على الثقافة الأفريقية الأمريكية. ولكن من ماذا يتكون هذا الحفاظ على الثقافة الأفريقية الأمريكية؟ بالكاد يتكون من أي شيء أكثر من تناول طعام على الطراز الأسود، الاستماع إلى موسيقى على الطراز الأسود، ارتداء ملابس على الطراز الأسود والذهاب إلى كنيسة أو مسجد على الطراز الأسود. بعبارة أخرى، لا يمكنه التعبير عن نفسه إلا في الأمور السطحية. من جميع النواحي **الأساسية**، يرغب معظم اليساريين المُفرطين اجتماعيًا في جعل الرجل الأسود متوافق مع مُثُل الطبقة الوسطى البيضاء. إنهم يريدون أن يجعلوه يدرس الموضوعات التقنية، أن يصبح مديرًا تنفيذيًا أو عالمًا، أن يقضي حياته في تسلق سلم المكانة الاجتماعية لإثبات أن السود بجودة البيض. إنهم يريدون جعل الآباء السود "مسؤولين"، يريدون أن تصبح العصابات السوداء غير عنيفة، وما إلى ذلك. لكن هذه هي بالضبط قيم النظام الصناعي التقني. لا يهتم النظام كثيرًا بنوع الموسيقى التي يستمع إليها الرجل، ما نوع الملابس التي يرتديها أو الدين الذي يؤمن به طالما يدرس في المدرسة، يتولى وظيفة محترمة، ويتسلق سلم المكانة الاجتماعية، أن يكون والدًا "مسؤولاً"، أن يكون غير عنيف وهكذا دواليك. في الواقع، بغض النظر عن مدى إنكاره، يريد اليساري المُفرط اجتماعيًا دمج الرجل الأسود في النظام وجعله يتبنى قيمه.

٣٠. نحن بالتأكيد لا ندّعي أن اليساريين، حتى المُفرطين اجتماعيًا، **لا** يتمرّدون أبدًا على القيم الأساسية لمجتمعنا. من الواضح أنهم يفعلون ذلك في بعض الأحيان. لقد ذهب بعض اليساريين المُفرطين اجتماعيًا إلى حد التمرّد على أحد أهم مبادئ المجتمع الحديث من خلال الانخراط في العنف الجسدي. من وجهة نظرهم، فإن العنف بالنسبة لهم هو شكل من أشكال "التحرر". بعبارة أخرى، بارتكاب العنف يخرقون القيود النفسية التي تم تطويعهم عليها. لأنهم مُغالون اجتماعيًا فقد كانت هذه القيود أكثر ضيقاً عليهم من غيرهم؛ ومن هنا تأتي حاجتهم إلى التحرر منها. لكنهم عادة ما يبررون تمرّدهم من منظور القيم السائدة. إذا انخرطوا في أعمال عنف، فإنهم يدّعون أنهم يحاربون العنصرية أو ما شابه.

٣١. نحن ندرك أنه يمكن إثارة العديد من الاعتراضات على الرسم المصغر السابق للنفسية اليسارية. الوضع الحقيقي معقد، وأي شيء مثل الوصف الكامل له سوف يستغرق عدة مجلدات حتى لو كانت البيانات الضرورية متوفرة. نحن ندّعي فقط أننا أشرنا تقريبًا إلى أهم نزعتين في نفسية اليسارية الحديثة.

٣٢. مشاكل اليساري تدل على مشاكل مجتمعنا ككل. لا يقتصر تدني احترام الذات والميول الاكتئابية والانهزامية على اليسار. على الرغم من أنها ملحوظة خصيصًا في اليسار، إلا أنها منتشرة في مجتمعنا. ويحاول مجتمع اليوم جعلنا اجتماعيين إلى حد أكبر من أي مجتمع سابق. حتى أن الخبراء يخبروننا عن كيفية تناول الطعام، وكيفية ممارسة الرياضة، وكيفية ممارسة الحب، وكيفية تربية أطفالنا وما إلى ذلك.

عملية السُلطة

٣٣. لدى البشر حاجة (ربما استنادًا إلى طبيعتهم الحيوية) لشيء سندعوه عملية السُلطة. يرتبط هذا الأمر بشكل كبير مع الحاجة إلى السُلطة (وهو أمر معروف على نطاق واسع) ولكنه ليس الشيء نفسه. تتكون عملية السُلطة من أربعة عناصر. الثلاثة الأكثر وضوحًا من تلك العناصر نسميها الهدف، الجهد وتحقيق الهدف. (يحتاج كل شخص إلى أهداف يتطلب تحقيقها جهدًا، ويحتاج إلى النجاح في تحقيق بعض من أهدافه على الأقل). العنصر الرابع أكثر صعوبة في التحديد وقد لا يكون ضروريًا للجميع. نسميه الاستقلالية وسنناقشها لاحقاً (الفقرات ٤٢-٤٤).

٣٤. لنأخذ الحالة الافتراضية لرجل بإمكانه أن يحصل على أي شيء يريده فقط بتمنيه له. هكذا رجل لديه سُلطة، لكنه سيصاب بمشاكل نفسية خطيرة. في البداية، سيحظى بالكثير من المرح، لكنه وبمرور الوقت سيصاب بالملل الحاد والإحباط. في النهاية قد يصبح مريضاً بالاكتئاب. يكشف التاريخ أن طبقة النبلاء المُترفة تميل إلى أن تكون مُنحلّة. هذا لا ينطبق على طبقة النبلاء المُقاتلة التي يتعين عليها أن تكافح للحفاظ على سلطتها. لكن طبقة النبلاء المُترفة والآمنة التي لا تحتاج إلى إثبات نفسها عادة ما تشعر بالملل، الانحلال والإحباط، على الرغم من امتلاكها السُلطة. هذا يدل على أن السُلطة ليست كافية. يجب على المرء أن يكون لديه أهداف ليمارس سُلطته للوصول إليها.

٣٥. الجميع لديهم أهداف؛ إذا لم يكن لشيء آخر سوى الحصول على الضروريات المادية للحياة: الطعام، الماء وأي لباس ومأوى يتطلبهما المناخ. لكن النبيل المُترف يحصل على هذه الأشياء دون جهد. ومن هنا جاء ملله وإحباطه.

٣٦. عدم تحقيق الأهداف الهامة يؤدي إلى الموت إذا كانت الأهداف ضرورات مادية، وإلى الإحباط إذا كان عدم تحقيق الأهداف لا يتعارض مع البقاء. يؤدي الفشل المستمر في تحقيق الأهداف طوال الحياة إلى الانهزامية، تدني احترام الذات أو الاكتئاب.

٣٧. لهذا، من أجل تجنب المشاكل النفسية الخطيرة، يحتاج الإنسان إلى أهداف يتطلب تحقيقها جهدًا، ويجب أن يكون لديه معدّل نجاح معقول في تحقيق أهدافه.

أنشطة بديلة

٣٨. لكن لا يشعر كل نبيل مترف بالملل والإحباط. على سبيل المثال، الإمبراطور هيروهيتو، بدلاً من الانغماس في المتعة المنحلة، كرّس نفسه لعلم الأحياء البحرية، وهو مجال أصبح مميزاً فيه. عندما لا يضطر الناس إلى بذل جهد لتلبية حاجاتهم المادية غالبًا ما يضعون أهدافاً مُصطنعة لأنفسهم. في كثير من الحالات، يتابعون هذه الأهداف بنفس الطاقة والمشاركة العاطفية التي كانوا سيضعونها في البحث عن الضروريات المادية. وهكذا كان للنبلاء في الإمبراطورية الرومانية أعمالهم الأدبية؛ استثمر العديد من النبلاء الأوروبيين منذ بضعة قرون وقتاً وطاقة هائلين في الصيد، رغم أنهم بالتأكيد لم يكونوا بحاجة إلى اللحم؛ تنافس النبلاء الآخرون على المكانة من خلال العروض الباذخة للثروة؛ وبعض النبلاء القلائل، مثل هيروهيتو، اتجهوا إلى العلم.

٣٩. نستخدم مصطلح "نشاط بديل" لتمييز نشاط مُوجّه نحو هدف مُصطنع وضعه الناس لأنفسهم فقط من أجل الحصول على هدف ما للعمل نحوه، أو دعنا نقول، فقط من أجل "الإرضاء"* الذي يحصلون عليه من السعي وراء الهدف. هنا قاعدة مقبولة عموما لتعريف النشاط البديل: بفرض أن الشخص س يُكرّس الكثير من الوقت والجهد لتحقيق الهدف ص، مع العلم أن معظم وقته وجهده يذهب في الأصل لتلبية حاجاته الحيوية، ومع العلم أيضا أن سعي الشخص س وراء الهدف ص يتطلّب منه استخدام قدراته الجسدية والعقلية بطريقة متنوعة ومشوّقة، اسأل نفسك السؤال الآتي: إذا لم يتنّى لـ الشخص س تحقيق الهدف ص، هل سوف يتسبّب ذلك في شعوره بالحرمان الشديد؟ إذا كانت الإجابة بالنفي، فإن السعي للهدف ص لا يمثّل لـ الشخص س إلا مجرد "نشاط بديل".

* يصح ترجمتها بالرضا، الإشباع، تحقيق (الهدف)

من الواضح أن دراسات هيروهيتو في علم الأحياء البحرية شكلت نشاطاً بديلاً، لأنه من المؤكد تمامًا أنه إذا كان على هيروهيتو أن يقضي وقته في العمل في مهام غير علمية مثيرة للاهتمام من أجل الحصول على ضرورات الحياة، فلن يشعر بالحرمان لأنه لم يعرف كل شيء عن علم تشريح ودورات حياة الحيوانات البحرية. من ناحية أخرى فإن السعي وراء الجنس والحب (على سبيل المثال) ليس نشاطاً بديلاً، لأن معظم الناس، حتى لو كان وجودهم مُرضيًا، سيشعرون بالحرمان إذا قضوا حياتهم دون أن تكون لهم علاقة أبدًا بأحد أعضاء الجنس الآخر. (لكن السعي وراء قدر كبير من الجنس، أكثر مما يحتاجه الشخص في الحقيقة، يمكن أن يكون نشاطاً بديلاً).

٤٠. في المجتمع الصناعي الحديث لا يلزم سوى الحد الأدنى من الجهد لتلبية الاحتياجات المادية للفرد. يكفي الخضوع لبرنامج تدريبي لاكتساب بعض المهارات التقنية الصغيرة، ثم القدوم إلى العمل في الوقت المحدد وبذل الجهد الضئيل الكافي للحفاظ على الوظيفة. المتطلبات الوحيدة هي قدر معتدل من الذكاء، والأهم من ذلك كله، الطاعة لا غير. إذا كان لدى المرء هذه المواصفات، فإن المجتمع يعتني به من المهد إلى اللحد. (نعم، هناك طبقة دنيا لا يمكن أن تأخذ الضرورات المادية كأمر مُسلّم به، لكننا نتحدث هنا عن المجتمع السائد). وبالتالي فليس من المثير للدهشة أن المجتمع الحديث مليء بالأنشطة البديلة. وهي تشمل العمل العلمي، الإنجاز الرياضي، العمل الإنساني، الإبداع الفني والأدبي، تسلق سلم المناصب في الشركات، اكتساب الأموال والسلع المادية التي تتجاوز بكثير النقطة التي تتوقف عندها عن إعطاء أي إشباع مادي إضافي، والنشاط الاجتماعي عندما تعالج القضايا التي ليست مهمة للناشط شخصيًا، كما في حالة الناشطين البيض الذين يعملون من أجل حقوق الأقليات غير البيضاء. هذه ليست دائمًا أنشطة بديلة خالصة، نظرًا لأن العديد من الأشخاص قد يكونون مدفوعين جزئيًا باحتياجات أخرى غير الحاجة إلى تحقيق هدف ما. قد يكون العمل العلمي مدفوعًا جزئيًا بدافع الوجاهة، الإبداع الفني بدافع التعبير عن المشاعر، النشاط الاجتماعي المتطرف بدافع العدائية. ولكن بالنسبة لمعظم الأشخاص الذين يسعون خلفها، فإن هذه الأنشطة هي في جزء كبير منها أنشطة بديلة.

على سبيل المثال، ربما يوافق غالبية العلماء على أن "الإرضاء" الذي يحصلون عليه من عملهم أهم من المال والوجاهة التي يكسبونها.

٤١. بالنسبة للعديد من الأشخاص إن لم يكن معظمهم، تعتبر الأنشطة البديلة أقل إرضاءً من السعي وراء أهداف حقيقية (أي الأهداف التي يرغب الناس في تحقيقها حتى لو كانت حاجتهم إلى عملية السُلطة قد تم تحقيقها بالفعل). أحد المؤشرات على ذلك هو حقيقة أنه، في كثير من الحالات أو في معظمها، الأشخاص الذين يشاركون بعمق في أنشطة بديلة لا يرضون أبدًا، لا يرتاحون أبدًا. وبالتالي فإن صانع المال يسعى باستمرار إلى المزيد والمزيد من الثروة. لم يكد العالم يحل مشكلة واحدة حتى ينتقل إلى أخرى. يقود عدّاء المسافات الطويلة نفسه إلى الركض دائمًا أبعد وأسرع. سيقول العديد من الأشخاص الذين يسعون خلف أنشطة بديلة أنهم يحصلون على قدر أكبر بكثير من الرضا بهذه الأنشطة أكثر مما يحصلون عليه من الأعمال "العادية" المتمثلة في تلبية احتياجاتهم الحيوية، ولكن هذا بسبب أنه في مجتمعنا الجهد اللازم لتلبية الاحتياجات الحيوية تم تقليصه حتى أصبح أمرًا هامشيًا. والأهم من ذلك، أن الناس في مجتمعنا لا يُشبعون احتياجاتهم الحيوية **باستقلالية** ولكن من خلال العمل كأجزاء من آلة اجتماعية هائلة. في المقابل، يتمتع الناس عمومًا بقدر كبير من الاستقلالية في ممارسة أنشطتهم البديلة.

الاستقلالية

٤٢. الاستقلالية كجزء من عملية السُلطة قد تكون غير ضرورية لكل فرد. لكن معظم الناس يحتاجون إلى درجة أكبر أو أقل من الاستقلالية في العمل نحو أهدافهم. يجب أن تُبذل جهودهم كمبادرة منهم ويجب أن تكون تحت توجيههم وسيطرتهم. ومع ذلك، لا يتعين على معظم الناس ممارسة هذه المبادرة، التوجيه والسيطرة كأفراد. عادةً ما يكفي العمل كعضو في مجموعة **صغيرة**. وبالتالي إذا ناقش ستة أشخاص هدفاً فيما بينهم وبذلوا جهدًا مشتركاً ناجحًا لتحقيق هذا الهدف، فسيتم تلبية حاجتهم إلى عملية السُلطة. لكن إذا عملوا بموجب أوامر صارمة صادرة من أعلى ولا تترك لهم مجالاً لاتخاذ قرار ومبادرة مستقلَّين، فلن يتم تلبية حاجتهم إلى عملية السُلطة. وينطبق الشيء نفسه عندما تُتخذ القرارات على أساس جماعي إذا كانت المجموعة التي تتخذ القرار الجماعي كبيرة جدًا بحيث يكون دور كل فرد ضئيلاً. [5]

٤٣. صحيح أن بعض الأفراد يبدو أنهم ليس لديهم حاجة كبيرة للاستقلالية. إما أن يكون دافعهم للسُلطة ضعيفاً أو أنهم يُرضون ذلك من خلال التماهي مع منظمة قوية ينتمون إليها. ثم هناك الأنواع البرّية، التي لا تفكر، ويبدو أنها راضية بإحساس جسدي بحت بالسُلطة (الجندي المقاتل الجيد، الذي يحصل على إحساسه بالسُلطة من خلال تطوير مهارات قتاله التي يُرضيه استخدامها في الطاعة العمياء لرؤسائه).

٤٤. لكن بالنسبة لمعظم الناس فإنه من خلال عملية السُلطة — وجود هدف، بذل جهد **مستقل** وتحقيق الهدف — يتم اكتساب احترام الذات، الثقة بالنفس والشعور بالقوة. عندما لا يكون لدى المرء فرصة كافية للخوض في عملية السُلطة تكون العواقب (اعتمادًا على الفرد وعلى الطريقة التي يتم بها تعطيل عملية السُلطة) الملل، الإحباط، تدني احترام الذات، مشاعر الدّونية، الانهزامية، الاكتئاب، القلق، الذنب، اليأس، العدائية، الإساءة للزوج أو الطفل، نهم اللذة، السلوك الجنسي غير الطبيعي، اضطرابات النوم، اضطرابات الأكل، وما إلى ذلك. [٦]

مصادر المشاكل الاجتماعية

٤٥. يمكن أن تحدث أيٌّ من الأعراض السابقة في أي مجتمع، ولكنها موجودة في المجتمع الصناعي الحديث على نطاق واسع. لسنا أول من ذكر أن العالم اليوم يبدو وكأنه يفقد عقله. هذا النوع من الأشياء ليس طبيعيًا بالنسبة للمجتمعات البشرية. هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن الإنسان البدائي عانى من إجهاد وإحباط أقل وكان أكثر رضا بطريقته في الحياة من الإنسان الحديث. صحيح أنه لم يكن كل شيء "عشرة على عشرة" في المجتمعات البدائية. فقد كانت الإساءة إلى النساء شائعةً بين السكان الأصليين الأستراليين، وكان الانحراف الجنسي شائعًا إلى حد ما بين بعض القبائل الهندية الأمريكية. لكن يبدو أنه بالحديث **بشكل عام** عن أنواع المشاكل التي ذكرناها في الفقرة السابقة كانت أقل شيوعًا بين الشعوب البدائية مما هي عليه في المجتمع الحديث.

٤٦. نعزو المشاكل الاجتماعية والنفسية للمجتمع الحديث إلى حقيقة أن ذلك المجتمع يتطلب من الناس أن يعيشوا في ظروف تختلف اختلافاً جذريًا عن الظروف التي تطور فيها الجنس البشري وأن يتصرفوا بطرق تتعارض مع أنماط السلوك التي طورها الجنس البشري خلال معيشتهم في ظل الظروف السابقة. يتضح مما كتبناه بالفعل أننا نعتبر عدم وجود فرصة لتجربة عملية السُلطة بشكل صحيح كأحد أهم الظروف غير الطبيعية التي يُخضع المجتمع الحديث الناس لها. ولكنه ليس الوحيد. قبل التعامل مع تعطل عملية السُلطة كمصدر للمشاكل الاجتماعية سنناقش بعض المصادر الأخرى.

٤٧. من بين الظروف غير الطبيعية السائدة في المجتمع الصناعي الحديث الكثافة السكانية المُفرطة، عزل الإنسان عن الطبيعة، السرعة المُفرطة في التغيير الاجتماعي وانهيار المجتمعات الصغيرة الطبيعية مثل الأسرة الممتدة، القرية أو القبيلة.

٤٨. من المعروف أن الازدحام يزيد من التوتر والعدوانية. إن درجة الازدحام الموجودة اليوم وعزلة الإنسان عن الطبيعة هي نتائج للتقدم التقني. كانت جميع المجتمعات ما قبل الصناعية في الغالب ريفية. أدت الثورة الصناعية إلى زيادة حجم المدن ونسبة السكان الذين يعيشون فيها بشكل كبير، وقد أتاحت التقنية الزراعية

الحديثة للأرض أن تدعم تعدادًا سكانيًا أكثر بكثير مما كانت تفعل من قبل. (أيضاً، تؤدي التقنية إلى تفاقم آثار الازدحام لأنها تضع المزيد من القوى التخريبية في أيدي الناس. على سبيل المثال، مجموعة متنوعة من الأجهزة المسببة للضوضاء: جزازات العشب، أجهزة المذياع، الدراجات النارية، وما إلى ذلك. إذا كان استخدام هذه الأجهزة غير مقيد، فإن الأشخاص الذين يريدون السلام والهدوء يشعرون بالإحباط من الضوضاء. إذا تم تقييد استخدامها، فإن الأشخاص الذين يستخدمون الأجهزة يشعرون بالإحباط من اللوائح. ولكن إذا لم يتم اختراع هذه الآلات مطلقاً، فلن يكون هناك صراع أو إحباط ناتج عنها).

٤٩. بالنسبة للمجتمعات البدائية، قدّم العالم الطبيعي (الذي يتغير عادةً ببطء فقط) إطارًا مستقرًا وبالتالي شعورًا بالأمان. في العالم الحديث، يهيمن المجتمع البشري على الطبيعة وليس العكس، ويتغير المجتمع الحديث بسرعة كبيرة بسبب التغير التقني. وبالتالي لا يوجد إطار مستقر.

٥٠. المحافظون أغبياء: يتذمرون من انحلال القيم التقليدية، لكنهم يدعمون بحماس التقدم التقني والنمو الاقتصادي. من الواضح أنه لم يخطر ببالهم أبدًا أنه لا يمكنك إجراء تغييرات سريعة وجذرية في التقنية واقتصاد المجتمع دون التسبب في تغييرات سريعة في جميع جوانب المجتمع الأخرى أيضاً، وأن هذه التغييرات السريعة تؤدي حتمًا إلى تحطيم القيم التقليدية.

٥١. انهيار القيم التقليدية يعني إلى حد ما تفكك الروابط التي تربط المجموعات الاجتماعية التقليدية صغيرة الحجم. يتم أيضاً تعزيز تفكك المجموعات الاجتماعية الصغيرة من خلال حقيقة أن الظروف الحديثة غالبًا ما تتطلب أو تغري الأفراد بالانتقال إلى أماكن جديدة، فاصلين أنفسهم عن مجتمعاتهم. علاوةً على ذلك، يجب على المجتمع التقني أن يُضعف الروابط الأسرية والمجتمعات المحلية إذا كان يريد أن يعمل بكفاءة. في المجتمع الحديث، يجب أن يكون ولاء الفرد أولاً للنظام وفقط ثانويًا لمجتمع صغير الحجم، لأنه إذا كانت الولاءات الداخلية للمجتمعات الصغيرة الحجم أقوى من الولاء للنظام، فإن هذه المجتمعات ستسعى لتحقيق مصلحتها الخاصة على حساب النظام.

٥٢. لنفترض أن مسؤولاً عامًا أو مسؤولاً تنفيذيًا في شركة يُعيّن ابن عمه، صديقه أو ابن ملّته في منصب بدلاً من تعيين الشخص الأفضل تأهيلاً لهذه الوظيفة. لقد سمح للولاء الشخصي بأن يحل محل ولائه للنظام، وهذه هي "المحسوبية" أو "التمييز"، وكلاهما خطايا رهيبة في المجتمع الحديث. المجتمعات الصناعية الناشئة التي قامت بعمل سيئ في إخضاع الولاءات الشخصية أو المحلية للولاء للنظام عادة ما تكون غير فعالة للغاية. (انظر إلى أمريكا اللاتينية)*. وبالتالي، فإن المجتمع الصناعي المتقدم لا يمكنه أن يتحمل سوى تلك المجتمعات الصغيرة التي يتم إضعافها وترويضها وتحويلها إلى أدوات للنظام. [7]

٥٣. لقد تم الاعتراف على نطاق واسع بأن الازدحام والتغير السريع وانهيار المجتمعات كمصادر للمشاكل الاجتماعية. لكننا لا نعتقد أن هذا كافٍ لتفسير حجم المشكلات التي نراها اليوم.

٥٤. كان يوجد عدد قليل من المدن ما قبل الصناعية الكبيرة والمزدحمة للغاية، ومع ذلك لا يبدو أن سكانها عانوا من مشاكل نفسية بالقدر نفسه الذي يعاني منه الإنسان الحديث. في أمريكا اليوم لا تزال هناك مناطق ريفية غير مزدحمة، ونجد نفس المشاكل الموجودة في المناطق الحضرية، على الرغم من أن المشاكل تميل إلى أن تكون أقل حدة في المناطق الريفية. وبالتالي لا يبدو أن الازدحام هو العامل الحاسم.

٥٥. على الحافة المتنامية للحدود الأمريكية خلال القرن التاسع عشر، ربما أدى تنقّل السكان إلى تقسيم الأسر الممتدة والمجموعات صغيرة الحجم إلى نفس القدر من تفككها اليوم على الأقل. في الواقع، عاشت العديد من العائلات المتفرّدة باختيارها في مثل هذه العزلة، بلا جيران على بعد عدة أميال، لا تنتمي إلى أي مجتمع على الإطلاق، ومع ذلك لا يبدو أنها قد طورت مشاكل نتيجة لذلك.

* أو الشرق الأوسط!

٥٦. علاوة على ذلك، كان التغيير في المجتمع الحدودي الأمريكي سريعًا وعميقاً للغاية. قد يُولد الرجل وينشأ في كوخ خشبي، خارج نطاق القانون والنظام ويتغذى إلى حد كبير على اللحوم البريّة؛ وبحلول الوقت الذي وصل فيه إلى سن الشيخوخة، ربما كان يعمل في وظيفة عادية ويعيش في مجتمع منظم مع تطبيق قانون فعال. كان هذا تغييرًا أعمق من ذلك الذي يحدث عادةً في حياة الفرد الحديث، ومع ذلك لا يبدو أنه أدى إلى مشاكل نفسية. في الواقع، كان لدى المجتمع الأمريكي في القرن التاسع عشر نبرة متفائلة وثقة بالنفس، تختلف تمامًا عن تلك السائدة في مجتمع اليوم. [8]

٥٧. الاختلاف، كما نجادل، هو أن الإنسان المعاصر لديه إحساس (مُبرر إلى حد كبير) بأن التغيير **مفروض** عليه، في حين أن رجل التخوم في القرن التاسع عشر كان لديه إحساس (مُبرر أيضاً إلى حد كبير) أنه خلق التغيير بنفسه، من خلال اختياره الخاص. وهكذا استقر أحد الرواد على قطعة أرض من اختياره الشخصي وجعلها مزرعة بجهوده الخاصة. في تلك الأيام قد يكون لمقاطعة بأكملها بضع مئات من السكان فقط وكانت كياناً أكثر عزلة واستقلالاً من مقاطعة حديثة. ومن هنا شارك المزارع الرائد كعضو في مجموعة صغيرة نسبيًا في إنشاء مجتمع منظم جديد. قد يتساءل المرء عمّا إذا كان إنشاء هذا المجتمع يمثل تحسيناً، ولكنه على أية حال أشبع حاجة الرواد لعملية السُلطة.

٥٨. يمكن إعطاء أمثلة أخرى للمجتمعات التي حدث فيها تغير سريع و/أو افتقرت إلى روابط مجتمعية وثيقة بدون هذا النوع من الانحراف السلوكي الهائل الذي نلاحظه في المجتمع الصناعي اليوم. نحن ندّعي أن أهم سبب للمشاكل الاجتماعية والنفسية في المجتمع الحديث هو حقيقة أن الناس ليس لديهم الفرصة الكافية للخوض في عملية السُلطة بطريقة طبيعية. لا نقصد أن نقول إن المجتمع الحديث هو المجتمع الوحيد الذي تعطلت فيه عملية السُلطة. ربما تدخلت معظم المجتمعات المتحضرة، إن لم يكن كلها، في عملية السُلطة بدرجة أكبر أو أقل. ولكن في المجتمع الصناعي الحديث أصبحت المشكلة حادة بشكل خاص. اليسارية، على الأقل في شكلها الأخير (من منتصف إلى أواخر القرن العشرين)، هي جزئيًا أحد أعراض الحرمان فيما يتعلق بعملية السُلطة.

تعطيل عملية السُلطة في المجتمع الحديث

٥٩. نقسم الدوافع البشرية إلى ثلاث مجموعات: (١) تلك الدوافع التي يمكن إشباعها بأقل جهد؛ (٢) تلك التي يمكن إشباعها ولكن فقط على حساب جهد جاد؛ (٣) تلك التي لا يمكن إشباعها بشكل كافٍ بغض النظر عن مقدار الجهد الذي يبذله المرء. عملية السُلطة هي عملية إرضاء دوافع المجموعة الثانية. كلما كثرت الدوافع في المجموعة الثالثة، كلما زاد الإحباط، الغضب، الانهزامية، الاكتئاب، وما إلى ذلك.

٦٠. في المجتمع الصناعي الحديث، تميل الدوافع البشرية الطبيعية بدفعها إلى المجموعتين الأولى والثالثة، وتميل المجموعة الثانية إلى التكون بشكل متزايد من الدوافع التي تم اصطناعها.

٦١. في المجتمعات البدائية، تندرج الضرورات المادية بشكل عام في المجموعة (٢): يمكن الحصول عليها، ولكن فقط على حساب جهد جاد. لكن المجتمع الحديث يميل إلى ضمان الضروريات المادية للجميع في مقابل الحد الأدنى من الجهد فقط، وبالتالي يتم دفع الضرورات المادية إلى المجموعة (١). (قد يكون هناك خلاف حول ما إذا كان الجهد المطلوب لشغل وظيفة "ضئيلاً"؛ ولكن عادةً، في الوظائف ذات المستوى الأدنى إلى المتوسط، مهما كان الجهد المطلوب فهو مجرد **الطاعة**. تجلس أو تقف حيث يُطلب منك الجلوس أو الوقوف وتفعل ما يُطلب منك القيام به بالطريقة التي يُطلب منك القيام بها. نادرًا ما تضطر إلى بذل جهد جاد، وفي أي حال من الأحوال من الصعب أن يكون لديك أي استقلالية في العمل، بحيث لا يتم تلبية الحاجة إلى عملية السُلطة بشكل جيد).[9]

٦٢. الاحتياجات الاجتماعية، مثل الجنس، الحب والمكانة، غالبًا تبقى في المجموعة (٢) في المجتمع الحديث، اعتمادًا على حالة الفرد. [١٠] لكن، باستثناء الأشخاص الذين لديهم دافع قوي بشكل خاص للحصول على المكانة، فإن الجهد المطلوب لتحقيق الدوافع الاجتماعية غير كافٍ لتلبية الحاجة إلى عملية السُلطة بشكل مُرضي.

٦٣. لذلك تم إنشاء بعض الاحتياجات المُصطنعة لتقع في المجموعة (٢)، وبالتالي تلبي الحاجة إلى عملية السُلطة. تم تطوير تقنيات الدعاية والتسويق التي تجعل الكثير من الناس يشعرون أنهم بحاجة إلى أشياء لم يرغبها أجدادهم أو حتى يحلموا بها. يتطلب الأمر جهدًا جادًا لكسب ما يكفي من المال لتلبية هذه الاحتياجات المُصطنعة، ومن ثم فهي تقع في المجموعة (٢). (لكن انظر الفقرات ٨٠-٨٢). يجب أن يلبي الإنسان الحديث حاجته إلى عملية السُلطة بشكل كبير من خلال السعي وراء الاحتياجات المُصطنعة التي أوجدتها صناعة الدعاية والتسويق [١١]، ومن خلال الأنشطة البديلة.

٦٤. يبدو أنه بالنسبة لكثير من الناس، وربما الأغلبية، تكون هذه الأشكال المُصطنعة لعملية السُلطة غير كافية. إن الموضوع الذي يتكرر في كتابات النقاد الاجتماعيين في النصف الثاني من القرن العشرين هو الإحساس باللاهدف الذي يُصيب الكثير من الناس في المجتمع الحديث. (غالبًا ما يُطلق على انعدام الهدف هذا أسماء أخرى مثل "التّيه الاجتماعي" أو "فراغ الطبقة الوسطى"). نقترح أن ما يسمى "أزمة الهويّة" هو في الواقع بحث عن إحساس بالهدف، وغالبًا ما يكون للالتزام بنشاط بديل. قد تكون الوجودية في جزء كبير منها رد فعل على انعدام الهدف في الحياة الحديثة. [١٢] ينتشر البحث عن "الإرضاء" على نطاق واسع في المجتمع الحديث. لكننا نعتقد أنه بالنسبة لغالبية الناس، فإن النشاط الذي يتمثل هدفه الرئيسي هو الإرضاء (أي نشاط بديل) لن يجلب إرضاءاً مُرضيًا تمامًا. بمعنى آخر، لا يلبي بشكل كامل الحاجة إلى عملية السُلطة. (انظر الفقرة ٤١). لا يمكن إشباع هذه الحاجة بالكامل إلا من خلال الأنشطة التي لها هدف خارجي، مثل الضروريات المادية، الجنس، الحب، المكانة، الانتقام، وما إلى ذلك.

٦٥. علاوة على ذلك، عندما يتم السعي لتحقيق الأهداف من خلال كسب المال، تسلق سلم المكانة أو العمل كجزء من النظام بطريقة أخرى، يصبح معظم الناس في وضع لا يؤهلهم لإتمام سعيهم **باستقلالية**. معظم العمال هم موظفون لدى شخص آخر، وكما أشرنا في الفقرة ٦١، يجب أن يقضوا أيامهم في فعل ما يُطلب منهم القيام به بالطريقة التي يُطلب منهم القيام بها. حتى معظم الأشخاص الذين يعملون لحسابهم الشخصي لديهم فقط استقلالية محدودة. إنها شكوى مزمنة

لأصحاب الأعمال التجارية الصغيرة ورجال الأعمال المبتدئين من أن أيديهم مقيدة بسبب التنظيم الحكومي المُفرط. لا شك أن بعض هذه اللوائح غير ضرورية، لكن في المجمل اللوائح الحكومية أجزاء أساسية وحتمية من مجتمعنا المعقد للغاية. يعمل جزء كبير من الأعمال الصغيرة اليوم على نظام الامتياز. ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال قبل بضع سنوات أن العديد من الشركات المانحة للامتياز تطلب من المتقدمين للحصول على امتياز إجراء اختبار شخصية مصمم **لاستبعاد** أولئك الذين لديهم إبداع ومبادرة، لأن مثل هؤلاء الأشخاص ليسوا قابلين للانقياد بشكل كافٍ للذهاب مع طاعة نظام الامتياز. هذا يستثني من الأعمال التجارية الصغيرة العديد من الأشخاص الذين هم في أمسّ الحاجة إلى الاستقلالية.

٦٦. يعيش الناس اليوم تحت حكم ما يفعله النظام **من أجلهم** أو **فيهم** أكثر مما يفعلونه لأنفسهم. وما يفعلونه لأنفسهم يتم أكثر فأكثر على طول القنوات التي يضعها النظام. تميل الفرص إلى أن تكون تلك التي يوفرها النظام، يجب استغلال الفرص وفقاً للوائح والقوانين [١٣]، ويجب اتباع التقنيات التي يحددها الخبراء إذا كان هناك فرصة للنجاح.

٦٧. وهكذا فإن عملية السُلطة تتعطل في مجتمعنا من خلال عدم كفاية الأهداف الحقيقية وعدم كفاية الاستقلالية في السعي وراء الأهداف. لكنها أيضاً تتعطل بسبب تلك الدوافع البشرية التي تقع في المجموعة (٣): الدوافع التي لا يستطيع المرء إشباعها بشكل كافٍ بغض النظر عن مقدار الجهد الذي يبذله. أحد هذه الدوافع هو الحاجة إلى الأمان. تعتمد حياتنا على قرارات يتخذها أشخاص آخرون؛ ليس لدينا سيطرة على هذه القرارات وعادة لا نعرف حتى الأشخاص الذين يتخذونها. ("نحن نعيش في عالم يتخذ فيه عدد قليل نسبيًا من الناس — ربما ٥٠٠ أو ١٠٠٠ — القرارات المهمة"، فيليب ب. هيمان من كلية الحقوق بجامعة هارفارد، نقلاً عن أنتوني لويس، نيويورك تايمز، ٢١ أبريل ١٩٩٥). حياتنا تعتمد على ما إذا كانت معايير الأمان في محطة طاقة نووية يتم اتباعها بشكل صحيح؛ حول كمية المبيدات المسموح لها بالوصول إلى طعامنا أو مقدار التلوث في الهواء؛ حول مدى مهارة (أو عدم كفاءة) طبيبنا؛ ما إذا كنا سنخسر أو سنحصل على وظيفة قد تعتمد على قرارات يتخذها اقتصاديون حكوميون أو مديرو شركات؛

وهكذا دواليك. معظم الأفراد ليسوا في وضع يسمح لهم بتأمين أنفسهم ضد هذه التهديدات بشكل (أكثر من) محدود للغاية. لذلك فإن بحث الفرد عن الأمان يكون مُحبِطاً، مما يؤدي إلى الشعور بقلة الحيلة*.

٦٨. يمكن الاعتراض بأن الإنسان البدائي أقل أماناً جسديًا من الإنسان الحديث، كما يتضح من قصر عمره المتوقع؛ ومن ثم فإن الإنسان الحديث يعاني أقل، وليس أكثر من مقدار انعدام الأمان الطبيعي للبشر. لكن الأمان النفسي لا يتوافق بشكل وثيق مع الأمان الجسدي. ما يجعلنا **نشعر** بالأمان ليس الأمان الموضوعي بقدر ما هو الشعور بالثقة في قدرتنا على الاعتناء بأنفسنا. يمكن للإنسان البدائي، الذي يهدده حيوان فتاك أو الجوع، أن يدافع عن نفسه أو يسافر بحثاً عن الطعام. ليس لديه يقين من النجاح في هذه الجهود، لكنه ليس عاجزاً بأي حال من الأحوال ضد الأشياء التي تهدده. من ناحية أخرى، فإن الفرد الحديث مهدد بالعديد من الأشياء التي لا حول له ولا قوة له بها: الحوادث النووية، المواد المسرطنة في الغذاء، التلوث البيئي، الحرب، الضرائب المتزايدة، انتهاك المنظمات الكبيرة لخصوصيته، الظواهر الاجتماعية أو الاقتصادية على الصعيد الوطني التي قد تعطل طريقة حياته.

٦٩. صحيح أن الإنسان البدائي عاجز أمام بعض الأمور التي تهدده؛ المرض على سبيل المثال. لكن يمكنه أن يتقبل مخاطر المرض برزانة. إنه جزء من طبيعة الأشياء، إنه ليس خطأ أحد، إلا إذا كان خطأ عفريت خيالي ما. لكن التهديدات التي يتعرض لها الفرد الحديث تميل إلى أن تكون **من صنع الإنسان**. إنها ليست نتائج الصدفة ولكنها **مفروضة** عليه من قِبل أشخاص آخرين لا يستطيع أن يؤثر، كفرد، في قراراتهم. وبالتالي يشعر بالإحباط، الإهانة والغضب.

* يصح ترجمتها بالعجز، الضعف، الوهن، اللاسلطة

٧٠. وهكذا فإن الإنسان البدائي يمتلك في الغالب أمنه في يديه (إما كفرد أو كعضو في مجموعة **صغيرة**) في حين أن أمن الإنسان الحديث في أيدي أشخاص أو منظمات بعيدة جدًا أو كبيرة جدًا بالنسبة له ليكون قادرًا على التأثير عليهم شخصيًا. لذا فإن دافع الإنسان الحديث للأمان يميل إلى الوقوع في المجموعتين (١) و (٣)؛ في بعض المناطق (الغذاء، المأوى، إلى آخره) يتم ضمان أمانه على حساب جهد ضئيل فقط، بينما في مناطق أخرى **لا يمكنه** تحقيق الأمان. (ما سبق ذكره يُبسّط الوضع الحقيقي إلى حد كبير، لكنه يشير بطريقة عامة تقريبية إلى كيفية اختلاف حالة الإنسان الحديث عن تلك للإنسان البدائي).

٧١. لدى الناس العديد من الدوافع أو النزعات العابرة التي تكون بالضرورة مُحبَطة في الحياة الحديثة، ومن ثم تندرج في المجموعة (٣). قد يغضب المرء، لكن المجتمع الحديث لا يمكنه السماح بالقتال. في كثير من الحالات لا يسمح حتى بالعدوان اللفظي. عند الذهاب إلى مكان ما، قد يكون المرء في عجلة من أمره، أو قد يكون في حالة مزاجية للسفر ببطء، ولكن عمومًا ليس أمامه خيار سوى التحرك مع تدفق حركة المرور والانصياع لإشاراته. قد يرغب المرء في القيام بعمله بطريقة مختلفة، ولكن عادةً ما يمكن للمرء أن يعمل فقط وفقاً للقواعد التي وضعها صاحب العمل. من نواحٍ عديدة أخرى أيضاً، فإن الإنسان الحديث مقيد بشبكة من اللوائح والقوانين (الصريحة أو الضمنية) التي تُحبط العديد من دوافعه وبالتالي تتدخل في عملية السُلطة. لا يمكن الاستغناء عن معظم هذه اللوائح، لأنها ضرورية لعمل المجتمع الصناعي.

٧٢. إن المجتمع الحديث متساهل للغاية من بعض النواحي. في الأمور التي لا تمت بصلة لسير النظام يمكننا عمومًا أن نفعل ما يحلو لنا. يمكننا أن نؤمن بأي دين (طالما أنه لا يشجع على سلوك خطير على النظام). يمكننا الذهاب إلى الفراش مع أي شخص نحبه (طالما أننا نمارس "الجنس الآمن"). يمكننا أن نفعل أي شيء نحبه طالما أنه **غير مهم**. ولكن في جميع الأمور **المهمة**، يميل النظام بشكل متزايد إلى تنظيم سلوكنا.

٧٣. يتم تنظيم السلوك ليس فقط من خلال قواعد صريحة وليس فقط من قِبل الحكومة. غالبًا ما يكون التحكم موجودًا من خلال الإكراه غير المباشر أو عبر

الضغط النفسي أو التلاعب، ومن قِبل منظمات أخرى غير الحكومة، أو من قِبل النظام ككل. تستخدم معظم المنظمات الكبيرة شكلاً من أشكال الدعاية [١٤] للتلاعب بالمواقف أو السلوك العام. لا تقتصر الدعاية على "الإعلانات التجارية" والتسويق، وفي بعض الأحيان لا يُقصد بها أن تكون دعاية من قبل الأشخاص الذين يصنعونها. على سبيل المثال، محتوى المواد الترفيهية هو شكل قوي من أشكال الدعاية. مثال على الإكراه غير المباشر: لا يوجد نص دستوري يجبرنا على العمل كموظفين مطالبين بالتوقيع يوميًا في دفتر الحضور والإنصراف واتّباع أوامر صاحب العمل. فالقانون ليس به ما يمنعنا من الذهاب للبريّة للعيش كالبدائيين أو الذهاب في مغامرة لإنشاء عمل لأنفسنا ولكن من الناحية العملية لم يتبق سوى القليل جدًا من البلاد البريّة، وهناك مساحة في الاقتصاد لعدد محدود فقط من أصحاب الأعمال الصغيرة. ومن ثم يمكن لمعظمنا البقاء فقط كموظفين لدى شخص آخر.

٧٤. نقترح أن هوس الإنسان الحديث بطول العمر، والحفاظ على النشاط البدني والجاذبية الجنسية حتى سن متقدمة، هو أحد أعراض عدم الإرضاء الناجم عن الحرمان فيما يتعلق بعملية السُلطة. كما أن "أزمة منتصف العمر" هي أحد تلك الأعراض. وكذلك هو عدم الاهتمام بإنجاب الأطفال وهو أمر شائع إلى حد ما في المجتمع الحديث ولكن يكاد غير مُتخيّل في المجتمعات البدائية.

٧٥. في المجتمعات البدائية الحياة هي سلسلة من المراحل. بإتمام تحقيق احتياجات وأغراض إحدى المراحل، فلا يوجد أي تردد محدد في الانتقال إلى المرحلة التالية. يمر الشاب بعملية السُلطة عندما يصبح صيادًا، ليس الصيد من أجل الرياضة أو للإرضاء ولكن للحصول على اللحم الضروري للطعام. (للشابات، تكون العملية أكثر تعقيدًا، مع التركيز بشكل أكبر على السُلطة الاجتماعية؛ لن نناقش ذلك هنا) بعد اجتياز هذه المرحلة بنجاح، لا يتردد الشاب في الاستقرار وقبول مسؤوليات إنشاء أسرة. (في المقابل، يؤجل بعض الأشخاص الحديثين إنجاب الأطفال لوقت غير معلوم لأنهم مشغولون جدًا في البحث عن نوع من "الإرضاء". نقترح أن الإرضاء الذي يحتاجون إليه هو اختبار عملية السُلطة بشكلٍ وافٍ — بأهداف حقيقية بدلاً من أهداف مُصطنعة لأنشطة بديلة). مرة أخرى، بعد أن نجح في تربية أطفاله، عبر خوض عملية السُلطة من خلال تزويدهم بالضرورات

المادية، يشعر الرجل البدائي أن عمله قد تم وأنه مستعد لقبول الشيخوخة (إذا نجا هذا الوقت الطويل) والموت. من ناحية أخرى، يشعر العديد من الأشخاص الحديثين بالانزعاج من حتمية التدهور الجسدي والموت، كما يتضح من مقدار الجهد الذي يبذله في محاولة الحفاظ على حالتهم البدنية ومظهرهم وصحتهم. نحن نجادل في أن هذا يرجع إلى عدم الإرضاء الناجم حقيقةً من أنهم لم يستخدموا قواهم البدنية مطلقاً في أي استخدام عملي، ولم يخضعوا أبدًا لعملية السُلطة باستخدام أجسادهم بطريقة جادة. ليس الإنسان البدائي، الذي استخدم جسده يوميًا لأغراض عملية، هو الذي يخشى تدهور العمر، ولكنه الإنسان الحديث، الذي لم يكن لجسده أبدًا فائدة عملية بما تتجاوز المشي من سيارته إلى منزله. إنه الرجل الذي تم إشباع حاجته إلى عملية السُلطة خلال حياته هو الأفضل استعدادًا لقبول نهاية تلك الحياة.

٧٦. ردًا على الحجج الواردة في هذا القسم، سيقول أحدهم، "يجب على المجتمع أن يجد طريقة لمنح الناس الفرصة لخوض عملية السُلطة". هذا لن ينجح مع أولئك الذين يحتاجون إلى الاستقلالية في عملية السُلطة. بالنسبة لهؤلاء الأشخاص، يتم تدمير قيمة الفرصة من خلال حقيقة أن المجتمع يمنحها لهم. ما يحتاجونه هو العثور على فرصهم الخاصة أو صنعها. طالما أن النظام يمنحهم فرصهم فإنه لا يزال مقيّدًا لهم. لتحقيق الاستقلالية يجب عليهم التخلص من هذا اللجام.

كيف يتكيّف بعض الأشخاص

٧٧. لا يعاني كل فرد في مجتمع الصناعي التقني من مشاكل نفسية. حتى أن بعض الناس يصرحون بأنهم راضون تمامًا عن المجتمع كما هو. نناقش الآن بعض الأسباب التي تجعل الناس يختلفون اختلافاً كبيرًا في استجابتهم للمجتمع الحديث.

٧٨. أولاً، هناك بلا شك اختلافات في قوة الدافع إلى السُلطة. قد يكون الأفراد الذين لديهم دافع ضعيف للسُلطة بحاجة قليلة نسبيًا لخوض عملية السُلطة، أو على الأقل حاجة قليلة نسبيًا للاستقلالية في عملية السُلطة. هذه أنواع سهلة الانقياد كان من الممكن أن تكون سعيدة مثل عبيد المزارع السود في الجنوب الأمريكي القديم. (نحن لا نقصد السخرية من "عبيد المزارع السود" في الجنوب القديم. إحقاقاً لهم فأن معظم العبيد لم يرضوا بعبوديتهم. نحن نسخر من الأشخاص الذين **يرضون** بالعبودية).

٧٩. بعض الناس قد يكون لديهم بعض الدافع الاستثنائي، الذي في سعيهم ورائه يلبون احتياجاتهم لعملية السُلطة. على سبيل المثال، أولئك الذين لديهم دافع قوي بشكل غير عادي للمكانة الاجتماعية قد يقضوا حياتهم كلها في تسلق سلم المكانة دون الشعور بالملل من هذه اللعبة.

٨٠. يتفاوت الناس من حيث قابليتهم للتأثر بتقنيات الإعلان والتسويق. البعض قابل للغاية لدرجة أنه حتى لو حققوا قدرًا كبيرًا من المال، فلن يتمكنوا من إرضاء نهمهم المستمر للألعاب اللامعة الجديدة التي تُدلّيها صناعة التسويق أمام أعينهم. لذا فهم دائمًا يشعرون بضغوط مالية شديدة حتى لو كان دخلهم كبيرًا، ورغباتهم ستكون مُحبَطة.

٨١. بعض الناس لديهم قابلية منخفضة للتأثر بتقنيات الإعلان والتسويق. هؤلاء هم الأشخاص الذين لا يهتمون بالمال. الاستحواذ المادي لا يخدم حاجتهم لعملية السُلطة.

٨٢. إن الأشخاص الذين لديهم قابلية متوسطة للتأثر بأساليب الإعلان والتسويق قادرون على كسب ما يكفي من المال لإشباع رغبتهم في الحصول على السلع والخدمات، ولكن فقط على حساب جهد جاد (العمل لساعات إضافية، الالتحاق

بوظيفة ثانية، كسب الترقيات، وما إلى ذلك). وبالتالي فإن الاستحواذ المادي يخدم حاجتهم لعملية السُلطة. ولكن هذا لا يعني بالضرورة إشباع حاجتهم بالكامل. قد يكون لديهم استقلالية غير كافية في عملية السُلطة (قد يتكون عملهم من اتباع الأوامر) وقد تكون بعض دوافعهم مُحبَطة (على سبيل المثال، الأمن، العدوانية). (نحن مذنبون بالمبالغة في التبسيط في الفقرات ٨٠-٨٢ لأننا افترضنا أن الرغبة في الاستحواذ المادي هي بالكامل من إنشاء صناعة الإعلان والتسويق. بالطبع ليس الأمر بهذه البساطة).[11]

٨٣. بعض الناس يُلبّون جزئيًا حاجتهم إلى السُلطة من خلال التماهي مع منظمة قوية أو حركة جماهيرية. ينضم الفرد الذي يفتقر إلى الأهداف أو القوة إلى حركة أو منظمة، يتبنى أهدافها على أنها أهدافه الخاصة، ثم يعمل على تحقيق تلك الأهداف. عندما يتم تحقيق بعض الأهداف، يشعر الفرد، على الرغم من أن جهوده الشخصية لم تلعب سوى دور ضئيل في تحقيق الأهداف، (من خلال تماهيه مع الحركة أو المنظمة) كما لو كان قد مر بعملية السُلطة. هذه الظاهرة استغلها الفاشيون، النازيون والشيوعيون. يستخدمها مجتمعنا أيضاً، وإن كان بشكل أقل فظاظة. مثال: كان مانويل نورييغا* مصدر إزعاج للولايات المتحدة (الهدف: معاقبة نورييغا). غزت الولايات المتحدة بنما (جهد) وعاقبت نورييغا (تحقيق الهدف). وهكذا خاضت الولايات المتحدة عملية السُلطة والعديد من الأمريكيين، بسبب تماهيهم مع الولايات المتحدة، خاضوا عملية السُلطة بشكل غير مباشر. ومن هنا جاءت الموافقة العامة على نطاق واسع على غزو بنما؛ أعطت الناس إحساسًا بالسُلطة. [١٥] نشهد نفس الظاهرة في الجيوش، الشركات، الأحزاب السياسية، المنظمات الإنسانية والحركات الدينية أو العقائدية. على وجه الخصوص، تميل الحركات اليسارية إلى جذب الأشخاص الذين يسعون إلى إشباع حاجتهم إلى السُلطة. لكن بالنسبة لمعظم الناس، فإن التماهي مع منظمة كبيرة أو حركة جماهيرية لا يلبي بشكل كامل الحاجة إلى السُلطة.

* عسكري بنميّ بقي في السُلطة بعد استيلائه عليها بدعم من وكالة الاستخبارات الأمريكية

٨٤.   الطريقة الأخرى التي يلبي بها الناس حاجتهم إلى عملية السُلطة هي من خلال الأنشطة البديلة. كما أوضحنا في الفقرات ٣٨-٤٠، فإن النشاط البديل هو نشاط موجه نحو هدف مُصطنع يسعى الفرد لتحقيقه من أجل "الإرضاء" الذي يحصل عليه من السعي وراء الهدف، وليس لأنه يحتاج إلى تحقيق الهدف بحد ذاته. على سبيل المثال، لا يوجد دافع عملي لبناء عضلات ضخمة، أو ضرب كرة بيضاء صغيرة في حفرة أو الحصول على سلسلة كاملة من الطوابع البريدية. ومع ذلك، يكرس الكثير من الناس في مجتمعنا أنفسهم بشغف لبناء الأجسام، الجولف أو جمع الطوابع. بعض الأشخاص "مُنقادون" أكثر من غيرهم، وبالتالي سوف يعلقون أهمية أكبر على نشاط بديل لمجرد أن الناس من حولهم يعاملونه على أنه مهم أو لأن المجتمع يخبرهم أنه مهم. هذا هو السبب في أن بعض الأشخاص يتعاملون بجدية شديدة بشأن أنشطة تافهة بوضوح مثل متابعة الرياضة أو لعبة الطاولة أو الشطرنج أو الملاحقات العلمية الغامضة، بينما لا يرى آخرون ممن لديهم رؤية أفضل هذه الأشياء إلا أنشطة بديلة كما هي، وبالتالي لا يولونها أبدًا أهمية كبيرة لتلبية حاجتهم إلى عملية السُلطة بهذه الطريقة. يبقى فقط أن نشير إلى أنه في كثير من الحالات تكون طريقة الشخص في كسب لقمة العيش هي أيضاً نشاط بديل. ليس نشاطاً بديلاً نقيًا، حيث أن جزءًا من الدافع لهذا النشاط هو اكتساب الضروريات المادية و(بالنسبة لبعض الأشخاص) المكانة الاجتماعية والكماليات التي تجعلهم الإعلانات يرغبون فيها. لكن الكثير من الناس يبذلون في عملهم جهدًا أكبر بكثير مما هو ضروري لكسب أي أموال أو مكانة يحتاجون إليها، وهذا الجهد الإضافي يشكل نشاطاً بديلاً. هذا الجهد الإضافي، مع الاستثمار العاطفي المصاحب له، هو واحد من أقوى القوى التي تعمل من أجل التطوير المستمر وتحقيق الكمال للنظام، مع عواقب سلبية على الحرية الفردية (انظر الفقرة ١٣١). بالنسبة للعلماء والمهندسين الأكثر إبداعًا على وجه الخصوص، يميل العمل إلى أن يكون نشاطاً بديلاً إلى حد كبير. هذه النقطة مهمة للغاية لدرجة أنها تستحق مناقشة منفصلة، سنعطيها لها بعد قليل (الفقرات ٨٧-٩٢).

٨٥. في هذا القسم، أوضحنا كيف يلبي العديد من الأشخاص في المجتمع الحديث حاجتهم إلى عملية السُلطة بدرجةٍ أو بأخرى. لكننا نعتقد أنه بالنسبة لغالبية الناس، فإن الحاجة إلى عملية السُلطة لم تُشبع تمامًا. في المقام الأول، فإن أولئك الذين لديهم دافع لا يشبع للحصول على المكانة، أو الذين "يعلقون" بقوة على نشاط بديل، أو الذين يتعاطفون بقوة كافية مع حركة أو منظمة لتلبية حاجتهم إلى السُلطة بهذه الطريقة، هم شخصيات استثنائية. البعض الآخر غير راضٍ تمامًا عن أنشطة بديلة أو بالتماهي مع منظمة (انظر الفقرتين ٤١ و ٦٤). في المقام الثاني، يفرض النظام قدرًا كبيرًا من التحكم من خلال التنظيم الصريح أو من خلال التنشئة الاجتماعية، مما يؤدي إلى ضعف الاستقلالية، والإحباط بسبب استحالة تحقيق أهداف معينة وضرورة تقييد الكثير من النزعات.

٨٦. لكن حتى لو كان معظم الناس في المجتمع الصناعي التقني راضين تمامًا، فإننا (FC)* سنظل نعارض هذا الشكل من المجتمع، لأننا (من بين أسباب أخرى) نعتبر أنه من المهين تلبية حاجة المرء إلى عملية السُلطة من خلال أنشطة بديلة أو من خلال التماهي مع منظمة، وليس من خلال السعي لتحقيق أهداف حقيقية.

* اختصار لـ "نادي الحرية" كما أطلق المؤلف على حركته

دوافع العلماء

٨٧. العلم والتقنية يقدمان أهم الأمثلة على الأنشطة البديلة. يدّعي بعض العلماء أنهم مدفوعون "بالفضول" أو بالرغبة في "إفادة الإنسانية". لكن من السهل أن نرى أنه لا يمكن أن يكون أي من هذين الدافع الرئيسي لمعظم العلماء. بالنسبة إلى "الفضول"، فإن هذا المفهوم هو ببساطة سخيف. يعمل معظم العلماء على حل مشاكل عالية التخصصية والتي لا تثير أي فضول عادي. على سبيل المثال، هل عالِم الفلك أو عالِم الرياضيات أو عالِم الحشرات فضولي بشأن خصائص الأيزوبروبيل ترايميثيل ميثان؟ بالطبع لا. فقط الكيميائي هو الذي يشعر بالفضول حيال شيء من هذا القبيل، وهو فضولي حيال ذلك فقط لأن الكيمياء هي نشاطه البديل. هل الكيميائي فضولي بشأن التصنيف المناسب لنوع جديد من الخنافس؟ لا، هذا السؤال يهم عالِم الحشرات فقط، وهو مهتم به فقط لأن علم الحشرات هو نشاطه البديل. إذا كان على الكيميائي وعالِم الحشرات أن يبذلوا جهدًا جادًا للحصول على الضروريات المادية، وإذا استخدم هذا الجهد قدراتهم بطريقة مثيرة للاهتمام ولكن في بعض السعي غير العلمي، فلن يعبأوا بشأن الأيزوبروبيل ترايميثيل ميثان أو تصنيف الخنافس. لنفترض أن نقص الأموال المخصصة للتعليم بعد التخرج قد أدى بالكيميائي إلى أن يصبح وسيط تأمين بدلاً من كيميائي. في هذه الحالة كان سيكون مهتمًا جدًا في مسائل التأمين ولم يكن ليهتم بأي شيء بخصوص الأيزوبروبيل ترايميثيل ميثان. على أي حال، ليس من الطبيعي أن ننسب لمجرد الفضول مقدار الوقت والجهد اللذين يبذلهما العلماء في عملهم. إن تفسير "الفضول" لدوافع العلماء لا يصمد.

٨٨. تفسير "نفع الإنسانية" لا يعمل بشكل أفضل. بعض الأعمال العلمية ليس لها علاقة يمكن تصورها برفاهية الجنس البشري كعلم الآثار أو علم اللغة المقارن على سبيل المثال. تقدم بعض مجالات العلوم الأخرى احتمالات خطيرة بشكل واضح. ومع ذلك، فإن العلماء في هذه المجالات متحمسون لعملهم مثل أولئك الذين يطورون اللقاحات أو يدرسون تلوث الهواء. لنأخذ حالة الدكتور إدوارد تيلر، الذي كان له دور عاطفي واضح في الترويج لمحطات الطاقة النووية. هل نشأت هذه

المشاركة من الرغبة في إفادة الإنسانية؟ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يتأثر الدكتور تيلر لأسباب "إنسانية" أخرى؟ إذا كان إنسانيًا فلماذا ساعد في تطوير القنبلة الهيدروجينية؟ كما هو الحال مع العديد من الإنجازات العلمية الأخرى، هناك سبب كبير من التساؤل عمّا إذا كانت محطات الطاقة النووية تفيد البشرية بالفعل. هل الكهرباء الرخيصة تفوق المخلفات (النووية) المتراكمة وخطر الحوادث؟ رأى الدكتور تيلر جانبًا واحدًا فقط من السؤال. من الواضح أن انخراطه العاطفي مع الطاقة النووية لم ينشأ من الرغبة في "إفادة الإنسانية" ولكن لإرضاء شخصي حصل عليه من عمله ومن رؤية ذلك قيد الاستخدام الفعلي.

٨٩. ينطبق الشيء نفسه على العلماء بشكل عام. مع استثناءات نادرة محتملة، فإن دافعهم ليس فضولاً ولا رغبةً في إفادة الإنسانية بل الحاجة إلى خوض عملية السُلطة: أن يكون لديك هدف (مشكلة علمية يجب حلها)، بذل جهد (بحث علمي) وبلوغ الهدف (حل المشكلة). العلم نشاط بديل لأن العلماء يعملون أساسًا من أجل الإرضاء الذي يحصلون عليه من العمل نفسه.

٩٠. بالطبع، الأمر ليس بهذه البساطة. تلعب دوافع أخرى دورًا للعديد من العلماء. المال والوجاهة على سبيل المثال. قد يكون بعض العلماء أشخاصًا من النوع الذي لديه دافع لا يشبع للحصول على الوجاهة (انظر الفقرة ٧٩) وهذا قد يوفر الكثير من التحفيز لعملهم. لا شك أن غالبية العلماء، مثل غالبية الجماهير العادية، أكثر أو أقل عرضة لتقنيات الإعلان والتسويق ويحتاجون إلى المال لإشباع رغباتهم من السلع والخدمات. وبالتالي فإن العلم ليس نشاطاً بديلاً نقيًا. لكنه في جزء كبير منه نشاط بديل.

٩١. أيضاً العلم والتقنية يشكلان حركة جماهيرية قوية، ويُشبع العديد من العلماء حاجتهم للسُلطة من خلال التماهي مع هذه الحركة الجماهيرية (انظر الفقرة ٨٣).

٩٢. وهكذا يسير العلم بشكل أعمى، بغض النظر عن الرفاه الحقيقي للجنس البشري أو لأي معيار آخر، مطيعًا فقط للاحتياجات النفسية للعلماء والمسؤولين الحكوميين ومديري الشركات الذين يقدمون الأموال للأبحاث.

طبيعة الحرية

٩٣. سنجادل في أنه لا يمكن إصلاح المجتمع التقني الصناعي بطريقة تمنعه من تضييق مجال حرية الإنسان تدريجيًا. ولكن، لأن "الحرية" كلمة يمكن تفسيرها بعدة طرق، يجب علينا أولاً أن نوضح نوع الحرية الذي نهتم به.

٩٤. نعني بكلمة "الحرية" فرصة خوض عملية السُلطة، بأهداف حقيقية وليست الأهداف المُصطنعة للأنشطة البديلة، وبدون تدخل، تلاعب أو إشراف من أي أحد، خاصة من أي منظمة كبيرة. تعني الحرية أن تكون متحكمًا (إما كفرد أو كعضو في مجموعة **صغيرة**) في قضايا الحياة والموت لوجود المرء: الطعام، الملبس، المأوى، والدفاع ضد أي تهديدات قد تكون موجودة في بيئة المرء. الحرية تعني امتلاك القوة (السُلطة)؛ ليس بالقدرة على التحكم في الآخرين ولكن بالقدرة على التحكم في ظروف حياة المرء نفسه. لا يتمتع المرء بالحرية إذا كان لدى أي شخص آخر (خاصة منظمة كبيرة) سُلطة على المرء ذاته، بغض النظر عن مدى الإحسان، التسامح والسماح بممارسة تلك السُلطة. من المهم عدم الخلط بين الحرية ومجرد الإذن (انظر الفقرة ٧٢).

٩٥. يُقال إننا نعيش في مجتمع حر لأن لدينا عددًا معيناً من الحقوق المضمونة دستوريًا. لكن هذه الحقوق ليست مهمة كما تبدو. يتم تحديد درجة الحرية الشخصية الموجودة في المجتمع من خلال البنية الاقتصادية والتقنية للمجتمع أكثر من قوانينه أو شكل حكومته. [١٦] كانت معظم الدول الهندية في نيو إنجلاند ملكيّة، وكانت العديد من مدن النهضة الإيطالية تحت سيطرة طغاة. لكن عند القراءة عن هذه المجتمعات، يتولّد لدى المرء انطباع بأنها سمحت بحرية شخصية أكثر بكثير مما يسمح به مجتمعنا. كان هذا جزئيًا بسبب افتقارهم إلى الآليات الفعالة لفرض إرادة الحاكم: لم تكن هناك قوات شرطة حديثة ومنظمة جيدًا، لا اتصالات سريعة بعيدة المدى، لا كاميرات مراقبة، لا ملفات معلومات عن حياة المواطنين العاديين. ومن ثم كان من السهل نسبيًا التهرب من السيطرة.

٩٦. بالنسبة لحقوقنا الدستورية، انظر على سبيل المثال إلى حرية الصحافة. نحن بالتأكيد لا نقصد ضرب ذلك الحق؛ إنها أداة مهمة للغاية للحد من تركيز السُلطة

السياسية ولإبقاء أولئك الذين لديهم سُلطة سياسية في الصف من خلال الكشف العلني عن أي سوء سلوك من جانبهم. لكن حرية الصحافة ليست ذات فائدة تُذكر للمواطن العادي كفرد. تخضع وسائل الإعلام في الغالب لسيطرة المنظمات الكبيرة المدمجة في النظام. يمكن لأي شخص لديه القليل من المال أن يطبع شيئًا ما، أو يمكنه توزيعه على شبكة التواصل المعلوماتية أو بطريقة ما، ولكن ما سيقوله سيغمره الكم الهائل من المواد التي تنشرها وسائل الإعلام، وبالتالي لن يكون لها تأثير عملي. لذلك فإن ترك انطباع في المجتمع بالكلمات يكاد يكون مستحيلاً بالنسبة لمعظم الأفراد والمجموعات الصغيرة. خذنا (FC) على سبيل المثال. إذا لم نقم بأي عمل عنيف وقمنا بتقديم الكتابات الحالية إلى أحد الناشرين، فمن المحتمل ألا يتم قبولها. إذا تم قبولها ونشرها، ربما لم تكن لتجتذب العديد من القراء، لأنه من الممتع مشاهدة الترفيه الذي تنشره وسائل الإعلام أكثر من قراءة مقال رصين. حتى لو كان لهذه الكتابات العديد من القراء، فإن معظم هؤلاء القراء سرعان ما سينسون ما قرأوه لأن أذهانهم غارقة في كمية المواد التي تُعرّضهم لها وسائل الإعلام. من أجل إيصال رسالتنا إلى الجمهور مع بعض الفرصة لترك انطباع دائم، كان علينا قتل أُناس.

٩٧. الحقوق الدستورية مفيدة إلى حد ما، لكنها لا تعمل على ضمان أكثر بكثير مما يمكن تسميته بمفهوم الطبقة الوسطى للحرية. وفقاً لذلك المفهوم، فإن الإنسان "الحر" هو في الأساس عنصر من عناصر الآلة الاجتماعية ولديه فقط مجموعة معينة من الحريات المقررة والمحددة؛ الحريات المصممة لخدمة احتياجات الآلة الاجتماعية أكثر من احتياجات الفرد. وهكذا يتمتع الرجل من الطبقة الوسطى "الحر" بالحرية الاقتصادية لأن ذلك يعزز النمو والتقدم؛ يتمتع بحرية الصحافة لأن النقد العلني يقيد سوء السلوك من قبل القادة السياسيين؛ له الحق في محاكمة عادلة لأن الحبس حسب نزوة الأقوياء سيضر بالنظام. كان هذا بوضوح موقف سيمون بوليڤار*. بالنسبة له، الناس يستحقون الحرية فقط إذا استخدموها لتعزيز التقدم (التقدم كما تصورته الطبقة الوسطى). اتخذ مفكرون آخرون وجهة نظر مماثلة للحرية باعتبارها مجرد وسيلة لتحقيق غايات جماعية.

* قائد عسكري وسياسي اشتراكي ثوري فنزويلي

يشرح تشيستر سي تان، "الفكر السياسي الصيني في القرن العشرين"، الصفحة ٢٠٢، فلسفة زعيم الكومينتانغ* هوو هان مين: "يُمنح الفرد الحقوق لأنه عضو في المجتمع وحياته المجتمعية تتطلب مثل هذه الحقوق. بالمجتمع، كان هوو يعني مجتمع الأمة بأسره". وفي الصفحة ٢٥٩ يذكر تان أنه وفقاً لكارسوم تشانغ** يجب استخدام الحرية لمصلحة الدولة والشعب ككل. ولكن ما هو نوع الحرية التي يتمتع بها المرء إذا كان بإمكانه استخدامها فقط كما يصفها شخص آخر؟ إن مفهوم (FC) للحرية ليس مفهوم بوليڤار، هوو، تشانج أو غيرهم من مُنظّري الطبقة الوسطى. تكمن مشكلة هؤلاء المُنظّرين في أنهم جعلوا تطوير وتطبيق النظريات الاجتماعية نشاطاً بديلاً لهم. وبالتالي فإن النظريات مصممة لتلبية احتياجات المُنظّرين أكثر من احتياجات أي أُناس قد يكونوا سيئ الحظ بما يكفي للعيش في مجتمع تُفرض فيه تلك النظريات.

٩٨. نقطة أخرى يجب توضيحها في هذا القسم: لا ينبغي الافتراض أن الشخص يتمتع بحرية كافية لمجرد أنه يقول أن لديه ما يكفي. الحرية مقيدة جزئيًا من خلال الضوابط النفسية والتي يكون الناس فيها غير واعين لها، وعلاوة على ذلك فإن أفكار العديد من الناس حول ما يشكل الحرية تحكمها الأعراف الاجتماعية أكثر من احتياجاتهم الحقيقية. على سبيل المثال، من المحتمل أن يقول العديد من اليساريين من النوع المُفرط اجتماعيًا أن معظم الناس، بما في ذلك أنفسهم، يتفاعلون اجتماعيًا قليلاً جدًا وليس أكثر من اللازم، ومع ذلك يدفع اليساري المُفرط اجتماعيًا ثمناً نفسيًا باهظاً لمستوى اجتماعيته المرتفع.

* الحزب القومي الصيني

** رئيس الحزب الاشتراكي الحاكم في الصين

بعض مبادئ التاريخ

٩٩. فكر في التاريخ على أنه مجموع مكوّنين: مكوّن غير منتظم يتكون من أحداث لا يمكن التنبؤ بها ولا تتبع نمطاً يمكن تمييزه، ومكوّن منتظم يتكون من اتجاهات تاريخية طويلة الأمد. نحن هنا نهتم بالاتجاهات طويلة الأمد.

١٠٠. **المبدأ الأول**. إذا تم إجراء تغيير **طفيف** ليؤثر على تيار تاريخي طويل الأمد، فسيكون تأثير هذا التغيير دائمًا مؤقتاً تقريبًا — وسيعود التيار قريبًا إلى حالته الأصلية. (مثال: نادرًا ما يكون لحركة الإصلاح المصممة لتنظيف الفساد السياسي في مجتمع أكثر من تأثير قصير المدى؛ عاجلاً أم آجلاً، يرتاح الإصلاحيون ويتسلل الفساد مرة أخرى. يميل مستوى الفساد السياسي في مجتمع معين إلى البقاء ثابتاً، أو التغير ببطء فقط مع تطور المجتمع. عادةً، لن يكون التنظيف السياسي دائمًا إلا إذا صاحبته تغييرات اجتماعية واسعة النطاق؛ تغيير **طفيف** في المجتمع لن يكون كافيًا). إذا بدا التغيير الطفيف في تيار تاريخي طويل الأمد على أنه دائم، ذلك فقط لأن التغيير يعمل في الاتجاه الذي يتحرك فيه التيار التاريخي بالفعل، بحيث لم يتم تغيير التيار بل مجرد تم دفعه خطوة للأمام.

١٠١. المبدأ الأول هو تقريبًا تكرار لنفس الكلام. إذا لم يكن التيار مستقرًا فيما يتعلق بالتغيرات الصغيرة، فسوف يتجول بشكل عشوائي بدلاً من اتباع اتجاه محدد؛ بمعنى آخر، لن يكون تيارًا طويل الأمد على الإطلاق.

١٠٢. **المبدأ الثاني**. إذا تم إجراء تغيير كبير بما يكفي لتغيير تيار تاريخي طويل الأمد بشكل دائم، فإنه سيغير المجتمع ككل. بمعنى آخر، المجتمع هو نظام تترابط فيه جميع الأجزاء، ولا يمكنك تغيير أي جزء مهم بشكل دائم دون تغيير جميع الأجزاء الأخرى أيضاً.

١٠٣. **المبدأ الثالث**. إذا تم إجراء تغيير كبير بما يكفي لتغيير اتجاه طويل الأجل بشكل دائم، فلا يمكن التنبؤ مسبقاً بالعواقب على المجتمع ككل. (ما لم تمر مجتمعات أخرى مختلفة بنفس التغيير وعانت جميعها من نفس العواقب، وفي هذه الحالة يمكن للمرء أن يتنبأ على أسس تجريبية بأن مجتمعًا آخر يمر بنفس التغيير سيمر بعواقب مماثلة).

١٠٤. **المبدأ الرابع**. لا يمكن تصميم نوع جديد من المجتمع على الورق. أي أنه لا يمكنك التخطيط لشكل جديد من أشكال المجتمع مسبقاً، ثم الشروع في تنفيذه وتوقع أن يعمل كما تم تصميمه للقيام به.

١٠٥. إن المبدأين الثالث والرابع ناتجان عن تعقيدات المجتمعات البشرية. سيؤثر التغيير في السلوك البشري على اقتصاد المجتمع وبيئته المادية؛ سيؤثر الاقتصاد على البيئة والعكس صحيح، وستؤثر التغييرات في الاقتصاد والبيئة على السلوك البشري بطرق معقدة لا يمكن التنبؤ بها؛ وهكذا دواليك. شبكة الأسباب والتأثيرات معقدة للغاية بحيث لا يمكن فكّها وفهمها.

١٠٦. **المبدأ الخامس**. لا يختار الناس بوعي وعقلانية شكل مجتمعهم. تتطور المجتمعات من خلال عمليات التطور الاجتماعي التي لا تخضع لسيطرة بشرية عقلانية.

١٠٧. المبدأ الخامس هو نتيجة للمبادئ الأربعة الأخرى.

١٠٨. للتوضيح: وفقاً للمبدأ الأول، فإن محاولة الإصلاح الاجتماعي بشكل عام إما أن تعمل في الاتجاه الذي يتطور فيه المجتمع على أي حال (بحيث يُسرِّع التغيير الذي كان سيحدث على أي حال) أو أنه فقط تأثير عابر، بحيث يعود المجتمع سريعًا إلى أخدوده القديم. لإجراء تغيير دائم في اتجاه التنمية لأي جانب مهم من جوانب المجتمع، فإن الإصلاح غير كافٍ والثورة مطلوبة. (لا تنطوي الثورة بالضرورة على انتفاضة مسلحة أو الإطاحة بحكومة). وفقاً للمبدأ الثاني، لا تغير الثورة أبدًا جانبًا واحدًا فقط من المجتمع، إنها تغير المجتمع بأسره؛ ووفقاً للمبدأ الثالث، تحدث تغييرات لم يتوقعها أو يرغب فيها الثوار أبدًا. وفقاً للمبدأ الرابع، عندما يؤسس الثوريون أو الحالمون (بالمدينة الفاضلة) نوعًا جديدًا من المجتمع، فإن ذلك لا يسير كما هو مخطط له أبدًا.

١٠٩. لا تقدم الثورة الأمريكية مثالاً مضادًا. لم تكن "الثورة" الأمريكية ثورة بالمعنى المقصود للكلمة، بل كانت حربًا من أجل الاستقلال أعقبها إصلاح سياسي بعيد المدى. لم يغير الآباء المؤسسون اتجاه تطور المجتمع الأمريكي، ولم يطمحوا إلى ذلك. لقد حرروا فقط تطور المجتمع الأمريكي من التأثير المثبط للحكم البريطاني. لم يغير إصلاحهم السياسي أي تيار أساسي، بل دفع الثقافة السياسية الأمريكية فقط على طول اتجاه نموها الطبيعي. كان المجتمع البريطاني، الذي كان المجتمع الأمريكي فرعًا منه، يتحرك لفترة طويلة في اتجاه نظام التمثيل النيابي. وقبل حرب الاستقلال، كان الأمريكيون يمارسون بالفعل درجة كبيرة من حكم التمثيل النيابي في المجالس الاستعمارية. تمت صياغة النظام السياسي الذي وضعه الدستور على غرار النظام البريطاني والمجالس الاستعمارية. مع إجراء تغييرات كبيرة، بالتأكيد — ليس هناك شك في أن الآباء المؤسسين اتخذوا خطوة مهمة للغاية. لكنها كانت خطوة على طول الطريق التي كان يسلكها العالم الناطق باللغة الإنجليزية بالفعل. والدليل هو أن بريطانيا وجميع مستعمراتها التي كان يسكنها في الغالب أشخاص من أصل بريطاني انتهى بها المطاف بأنظمة نيابية مشابهة بشكل أساسي لنظام الولايات المتحدة. لو فقد الآباء المؤسّسون أعصابهم ورفضوا التوقيع على إعلان الاستقلال، فإن أسلوبنا في الحياة اليوم لم يكن ليختلف بشكل كبير. ربما لكانت لدينا مع بريطانيا علاقات أوثق، وكان لدينا مجلس نيابي ورئيس وزراء بدلاً من مجلس شيوخ ورئيس، ليس هذا بالفارق الجوهري. وبالتالي، فإن الثورة الأمريكية لا تقدم مثالاً مضادًا لمبادئنا ولكنها تقدم توضيحًا جيدًا لها.

١١٠. ومع ذلك، لايزال يتعيّن على المرء استخدام الفطرة السليمة في تطبيق هذه المبادئ. فهي مكتوبةٌ هنا بلغةٍ غير حاسمة تاركةً مساحةً للتأويل ويمكن العثور على استثناءات لها. لذلك فنحن لا نقدم هذه المبادئ كقوانين غير قابلة للانتهاك ولكن كقواعد عامة أو خطوط استرشادية للتفكّر، والتي قد توفر ترياقاً جزئيًا للأفكار الساذجة حول مستقبل المجتمع. يجب أن تؤخذ المبادئ في الاعتبار باستمرار، وعندما يصل المرء إلى رأي يتعارض معها، يجب على المرء إعادة النظر بعناية في تفكيره وأن يصرّ على رأيه فقط إذا كان لدى المرء أسباب وجيهة للقيام بذلك.

لا يمكن إصلاح المجتمع الصناعي التقني

١١١. تساعد المبادئ السابقة على توضيح مدى تعذّر أمر إصلاح النظام الصناعي بطريقة تمنعه من فرض التضييق المتزايد على حرياتنا الشخصية. فبالعودة وراءً، إلى عصر الثورة الصناعية على أقل تقدير، نجد أنه كان هناك ميل دائم لتسخير التقنية في دعم النظام القائم بثمن فادح على الحرية الشخصية والاستقلالية الذاتية للأفراد. ومن ثم فإن أي تغيير مصمم لحماية الحرية من التقنية سيكون مخالفاً لتيار أساسي في تنمية مجتمعنا. وبالتالي، فإن مثل هذا التغيير سيكون إما تغييرًا مؤقتاً — سرعان ما سيغمره تيار التاريخ — أو إذا كان كبيرًا بما يكفي ليكون دائمًا فسيكون من شأنه أن يغير طبيعة مجتمعنا بأسره. هذا وفقاً للمبدأين الأول والثاني. علاوة على ذلك، نظرًا لأن المجتمع سيتغير بطريقة لا يمكن التنبؤ بها مسبقاً (المبدأ الثالث)، فستكون هناك مخاطرة كبيرة. لن يتم الشروع في إجراء تغييرات كبيرة بما يكفي لإحداث فرق دائم لصالح الحرية لأنه سيتم إدراك أنها ستؤدي إلى تعطيل النظام بشكل خطير. لذا فإن أي محاولات للإصلاح ستكون خجولة للغاية بحيث لا تكون فعالة. حتى لو تم الشروع في تغييرات كبيرة بما يكفي لإحداث فرق دائم، فسيتم التراجع عنها عندما تصبح آثارها المُعطِّلة (للنظام) واضحة. وبالتالي، لا يمكن إحداث تغييرات دائمة لصالح الحرية إلا من قبل الأشخاص المستعدين لقبول تغيير جذري، خطير وغير متوقع للنظام بأكمله. بعبارة أخرى من قبل الثوريين وليس الإصلاحيين.

١١٢. إن الأشخاص الحريصين على إنقاذ الحرية دون التضحية بالفوائد المفترضة للتقنية سيقترحون مخططات ساذجة لشكل جديد من أشكال المجتمع من شأنه التوفيق بين الحرية والتقنية. بصرف النظر عن حقيقة أن الأشخاص الذين يقدمون مثل هذه الاقتراحات نادرًا ما يقترحون أي وسيلة عملية يمكن من خلالها إنشاء الشكل الجديد للمجتمع في المقام الأول، فلذلك، وطبقاً للمبدأ الرابع، حتى لو تمكّن الشكل الجديد للمجتمع من الظهور، فإنه إما سينهار أو سيعطي نتائج مختلفة تمامًا عن تلك المتوقعة.

١١٣. لذا، حتى على أسس عامة للغاية، يبدو من غير المحتمل للغاية العثور على أي طريقة لتغيير المجتمع من شأنها التوفيق بين الحرية والتقنية الحديثة. في الأقسام القليلة التالية سوف نقدم أسبابًا أكثر تحديدًا لاستنتاج أن الحرية والتقدم التقني غير متوافقين.

إن تقييد الحرية أمر لا مفر منه في المجتمع الصناعي

١١٤. كما أوضحنا في الفقرات ٦٥-٦٧، ٧٠-٧٣، فإن الإنسان الحديث مقيد بشبكة من اللوائح والقوانين، ومصيره يعتمد على تصرفات أشخاص بعيدين عنه ولا يستطيع التأثير في قراراتهم. هذا ليس عرضيًا أو نتيجة لتعسف موظفين متغطرسين. إنه ضروري وحتمي في أي مجتمع متقدم تقنيًا. يجب أن يتحكم النظام في السلوك البشري عن كثب من أجل أن يعمل. الناس في العمل عليهم أن يفعلوا ما يُطلب منهم القيام به، عندما يُطلب منهم، كما يُطلب منهم، وإلا فإن الإنتاج سيهوي إلى الفوضى. **يجب** أن تُدار الحياة الوظيفية الرتيبة وفقا لقواعد صارمة. إن السماح بأي سُلطة تقديرية شخصية كبيرة للموظفين من المستوى الأدنى من شأنه أن يعطل النظام ويؤدي إلى اتهامات بالظلم بسبب الاختلافات في الطريقة التي يمارس بها الموظفون الفرديون تقديرهم. صحيح أنه يمكن إلغاء بعض القيود المفروضة على حريتنا، ولكن **بشكل عام** فإن تنظيم حياتنا من قبل المنظمات الكبيرة أمر ضروري لعمل المجتمع الصناعي التقني. النتيجة هي شعور بالعجز من جانب الشخص العادي، ومع ذلك، ربما ستميل اللوائح الرسمية إلى الاستعاضة عنها بشكل متزايد بأدوات نفسية تجعلنا نرغب في القيام بما يتطلبه النظام منا. (الدعاية [١٤]، تقنيات التعليم، خطط "الصحة العقلية"، وما إلى ذلك).

١١٥. **يتوجب** على النظام إجبار الناس على التصرف بطرق بعيدة بشكل متزايد عن النمط الطبيعي للسلوك البشري. على سبيل المثال، يحتاج النظام إلى العلماء وعلماء الرياضيات والمهندسين. لا يمكن أن يعمل (النظام) بدونهم. لذا يُمارس ضغطاً شديدًا على الأطفال لكي يتفوقوا في هذه الحقول. ليس من الطبيعي أن يقضي المراهق الجزء الأكبر من وقته جالسًا على مكتب مستغرقاً في الدراسة. يريد المراهق العادي قضاء وقته في اتصال نشط بالعالم الحقيقي. بين الشعوب البدائية، تميل الأشياء التي يتم تدريب الأطفال على القيام بها إلى أن تكون في وئام معقول مع دوافع الإنسان الطبيعية.

من بين الهنود الأمريكيين، على سبيل المثال، تم تدريب الأولاد على أنشطة خارجية نشطة — فقط من النوع الذي يحبه الأولاد. لكن في مجتمعنا، يتم دفع الأطفال إلى دراسة المواد التقنية، وهو ما يفعله معظمهم على مضض.

١١٦. بسبب الضغط المستمر الذي يمارسه النظام لتعديل السلوك البشري، هناك زيادة تدريجية في عدد الأشخاص الذين لا يستطيعون أو لن يقوموا بالتكيف مع متطلبات المجتمع: مُعتالي أنظمة الرعاية الحكومية، أعضاء عصابات الشباب، المنتمون للطوائف*، المتمرّدون المناهضون للحكومة، المخربون المتطرفون البيئيون، المتسربون (من التعليم) والمقاومون من مختلف الأنواع.

١١٧. في أي مجتمع متقدم تقنيًا، يجب أن يعتمد مصير الفرد على قرارات لا يستطيع شخصيًا أن يؤثر عليها إلى حد كبير. لا يمكن تقسيم المجتمع التقني إلى مجتمعات صغيرة مستقلة، لأن الإنتاج يعتمد على تعاون أعداد كبيرة جدًا من الأشخاص والآلات. هكذا مجتمع **يجب** أن يكون منظمًا للغاية و هكذا قرارات **يجب** أن تُتّخذ بحيث تؤثر على أعداد كبيرة جدًا من الناس. عندما يؤثر القرار، لنقول، على مليون شخص، فإن كل فرد من الأفراد المتأثرين، في المتوسط، لا يملك سوى حصة واحدة من المليون في صنع القرار. ما يحدث في العادة بشكل عملي هو أن يتم اتخاذ القرارات من قبل المسؤولين العامين أو المديرين التنفيذيين للشركات، أو من قبل المتخصصين التقنيين، ولكن حتى عندما يصوت الجمهور على قرار، يكون عدد الناخبين عادةً أكبر من أن يكون تصويت أي فرد بمفرده مهمًا. [١٧] وبالتالي فإن معظم الأفراد غير قادرين على التأثير بشكل يمكن قياسه في القرارات الرئيسية التي تؤثر على حياتهم. لا توجد طريقة يمكن تصورها لعلاج هذا في مجتمع متقدم تقنيًا. يحاول النظام "حل" هذه المشكلة باستخدام الدعاية لجعل الناس **يريدون** القرارات التي تم اتخاذها من أجلهم، ولكن حتى لو كان هذا "الحل" ناجحًا تمامًا في جعل الناس يشعرون بتحسن، سيكون ذلك مهيناً.

* تسمية ظهرت خصيصًا لمجموعات دينية أمريكية ذات عقائد وممارسات غريبة أو مستهجنة

١١٨. يدافع المحافظون وآخرون عن المزيد من "الاستقلالية المحلية". كانت المجتمعات المحلية تتمتع بالاستقلالية ذات مرة، لكن مثل هذا الاستقلالية تصبح أقل احتمالية حين تصبح المجتمعات المحلية أكثر انغماسًا وأكثر اعتمادًا على الأنظمة واسعة النطاق مثل المرافق العامة، شبكات الحواسب، أنظمة الطرق السريعة، وسائط الاتصال الجماهيري ونظام الرعاية الصحية الحديث. تعمل أيضاً ضد الاستقلالية حقيقة أن التقنية المطبقة في مكان معين غالبًا ما تؤثر على الأشخاص في أماكن أخرى بعيدة. وبالتالي، فإن استخدام المبيدات الحشرية أو المواد الكيميائية بالقرب من خور مياه قد يلوث إمدادات المياه على بعد مئات الأميال في اتجاه مجرى النهر، ويؤثر تأثير الاحتباس الحراري على العالم بأسره.

١١٩. إن النظام لم ولن يوجد لتلبية الاحتياجات البشرية. بدلاً من ذلك، فإن السلوك البشري هو الذي يجب تعديله بما يتوافق مع احتياجات النظام. هذا لا علاقة له بالعقيدة السياسية أو الاجتماعية التي قد تتظاهر بأنها توجه النظام التقني. إنه ليس خطأ الرأسمالية وليس خطأ الاشتراكية. إنه خطأ التقنية، لأن النظام لا يسترشد بالعقيدة السياسية بل بالضرورة التقنية. [١٨] بالطبع يلبي النظام العديد من الاحتياجات البشرية، ولكن بشكل عام فإنه يفعل هذا فقط بقدر استفادة النظام من القيام بذلك. إن احتياجات النظام هي الأهم، وليس احتياجات الإنسان. على سبيل المثال، يوفر النظام الطعام للناس لأن النظام لا يمكن أن يعمل إذا كان الجميع يتضورون جوعا؛ إنه يلبي الاحتياجات النفسية للناس **متى أمكنه** فعل ذلك، لأنه لا يمكن أن يعمل إذا أصيب الكثير من الناس بالاكتئاب أو التمرّد. لكن النظام، لأسباب جيدة، صلدة وعملية، يجب أن يمارس ضغطاً مستمرًا على الناس ليصوغوا سلوكهم وفقاً لاحتياجات النظام. الكثير من النفايات المتراكمة؟ الحكومة، وسائل الإعلام، النظام التعليمي، دعاة حماية البيئة، الجميع يغمروننا بكمية كبيرة من الدعاية حول إعادة التدوير. هل تحتاج إلى المزيد من الكوادر الفنية؟ جوقة من الأصوات تحض الأطفال على دراسة العلوم. لا أحد يتوقف عن السؤال عمّا إذا كان من غير الإنساني إجبار المراهقين على قضاء معظم وقتهم في دراسة مواضيع يكرهها معظمهم. عندما يتم إخراج العمال المهرة من العمل بسبب التقدم التقني ويضطرون إلى الخضوع لـ "إعادة التأهيل"، لا يسأل أحد ما إذا كان

دفعهم بهذه الطريقة أمرًا مهيناً. من المُسلَّم به ببساطة أنه يجب على الجميع الرضوخ للضرورة التقنية. ولسبب وجيه: إذا قُدمت الحاجات البشرية على الضرورة التقنية سيكون هناك مشاكل اقتصادية، بطالة أو نقص (في المواد) أو ما هو أسوأ. يتم تحديد مفهوم "الصحة العقلية" في مجتمعنا إلى حد كبير بالمدى الذي يتصرف فيه الفرد وفقاً لاحتياجات النظام وأن يفعل ذلك دون إظهار علامات الإجهاد.

١٢٠. إن الجهود المبذولة لإفساح المجال للإحساس بالهدف والاستقلالية داخل النظام ليست أكثر من مزحة. على سبيل المثال، قامت إحدى الشركات، بتكليف كل موظف فيها بإعداد فهرس كامل لبياناتها، بدلاً من تكليف كل واحد بإعداد جزء واحد وتجميعهم في النهاية، وكان من المفترض أن يمنحهم ذلك إحساسًا بالهدف والإنجاز. بعض الشركات تحاول منح موظّفيها مزيدًا من الاستقلالية في عملهم، ولكن لأسباب عملية لا يمكن القيام بذلك إلا على نطاق محدود للغاية، وعلى أي حال، لا يتم منح الموظفين مطلقاً استقلالية فيما يتعلق بالأهداف النهائية — لا يمكنهم توجيه جهودهم "المستقلة" أبدًا نحو الأهداف التي يختارونها شخصيًا، ولكن فقط نحو أهداف صاحب العمل، مثل بقاء الشركة ونموها. ستتوقف أي شركة عن العمل قريبًا إذا سمحت لموظفيها بالتصرف بطريقة أخرى. وبالمثل، في أي مشروع داخل نظام اشتراكي، يجب على العمال توجيه جهودهم نحو أهداف المشروع، وإلا فإن المشروع لن يخدم غرضه كجزء من النظام. مرة أخرى، لأسباب تقنية بحتة، لا يمكن لمعظم الأفراد أو المجموعات الصغيرة أن يتمتعوا بقدر كبير من الاستقلالية في المجتمع الصناعي. حتى أصحاب الأعمال الصغيرة عادة ما يتمتعون باستقلالية محدودة فقط. بصرف النظر عن ضرورة التنظيم الحكومي، فهو مقيد بحقيقة أنه يجب عليه الانخراط في النظام الاقتصادي والامتثال لمتطلباته. مثلاً، عندما يطور شخص ما تقنية جديدة، غالبًا ما يتعين على صاحب الأعمال الصغيرة استخدام هذه التقنية سواء أراد ذلك أم لا، حتى يظل قادرًا على المنافسة.

لا يمكن فصل الأجزاء" السيئة "من التقنية عن الأجزاء" الجيدة"

١٢١. يوجد سبب آخر لعدم إمكانية إصلاح المجتمع الصناعي لصالح الحرية وهو أن التقنية الحديثة هي نظام موحد تعتمد فيه جميع الأجزاء على بعضها البعض. لا يمكنك التخلص من الأجزاء "السيئة" من التقنية والاحتفاظ بالأجزاء "الجيدة" فقط. خذ الطب الحديث، على سبيل المثال. يعتمد التقدم في العلوم الطبية على التقدم في الكيمياء، الفيزياء، الأحياء، علوم الحاسوب وغيرها من المجالات. تتطلب العلاجات الطبية المتقدمة معدات باهظة الثمن ذات تقنية عالية لا يمكن توفيرها إلا من خلال مجتمع متقدم تقنيًا وثري اقتصاديًا. من الواضح أنه لا يمكنك تحقيق تقدم كبير في الطب بدون النظام التقني بأكمله وكل ما يتماشى معه.

١٢٢. حتى لو أمكن الحفاظ على التقدم الطبي بدون بقية النظام التقني، فإنه في حد ذاته سيؤدي إلى بعض الشرور. افترض على سبيل المثال أنه تم اكتشاف علاج لمرض السكري. سيتمكن الأشخاص الذين لديهم ميل وراثي لمرض السكري من البقاء على قيد الحياة والتكاثر مثل أي شخص آخر. سيتوقف الانتقاء الطبيعي ضد مورثات مرض السكري وستنتشر هذه المورثات بين الجماهير. (حدث هذا الآن بالفعل إلى حد ما، لأن مرض السكري، رغم أنه غير قابل للشفاء، يمكن السيطرة عليه من خلال استخدام الإنسولين). سيحدث نفس الشيء مع الأمراض الأخرى التي تتأثر احتمالية حدوثها بالعوامل الوراثية (على سبيل المثال سرطان الأطفال) وسينتج عنها تدهور وراثي للجماهير. سيكون الحل الوحيد نوعًا ما من برامج تحسين النسل أو الهندسة الوراثية الشاملة للبشر، بحيث لا يكون الإنسان في المستقبل من صنع الطبيعة أو الصدفة أو الله (اعتمادًا على آرائك الدينية أو الفلسفية)، بل منتج مصنّع.

١٢٣. إذا كنت تعتقد أن الحكومة الكبيرة تتدخل في حياتك كثيرًا الآن، فقط انتظر حتى تبدأ الحكومة في تنظيم التكوين (التعديل) الوراثي لأطفالك. مثل هذا التنظيم سوف يتبع حتمًا إدخال الهندسة الوراثية للبشر، لأن عواقب الهندسة الوراثية غير المنظمة ستكون كارثية.[19]

١٢٤. الرد المعتاد على هذه المخاوف هو بالحديث عن "أخلاقيات مهنة الطب". لكن قواعد أخلاقيات مهنية لن تعمل على حماية الحرية في مواجهة التقدم الطبي بل ستؤدي إلى تفاقم الأمور. إن قواعد الأخلاقيات المهنية المطبقة على الهندسة الوراثية ستكون في الواقع وسيلة لتنظيم التعديل الوراثي للبشر. شخص ما (ربما من الطبقة الوسطى العليا، في الغالب) سيقرر أن مثل هذا التطبيق أو ذاك للهندسة الوراثية هو "أخلاقي" وآخر ليس كذلك، لذا فهم في الواقع سيفرضون قيمهم الخاصة على التكوين الوراثي للجمهور على العموم. حتى إذا تم اختيار قواعد أخلاقيات مهنية على أساس رأي الأغلبية تمامًا، فإن الأغلبية ستفرض قيمها الخاصة على أي أقليات قد يكون لديها فكرة مختلفة عمّا يشكل استخدامًا "أخلاقيًا" للهندسة الوراثية. قواعد الأخلاقيات المهنية الوحيدة التي ستحمي الحرية حقاً هي تلك التي تحظر **أي** هندسة وراثية للبشر، ويمكنك أن تكون على يقين من أنه لن يتم تطبيق مثل هذه القواعد في أي مجتمع تقني. لا يمكن لأي قواعد تختزل الهندسة الوراثية إلى دور ثانوي أن تصمد لفترة طويلة، لأن الإغراء الذي تمثله القوة الهائلة للتقنية الحيوية سيكون لا يقاوم، خاصة وأن العديد من تطبيقاتها بالنسبة لغالبية الناس ستبدو جيدة بشكل واضح لا لبس فيه (القضاء على الأمراض الجسمانية والعقلية، مما يمنح الناس القدرات التي يحتاجونها للتعايش في عالم اليوم). حتمًا، سيتم استخدام الهندسة الوراثية على نطاق واسع، ولكن فقط بطرق تتفق مع احتياجات النظام الصناعي التقني. [20]

التقنية هي قوة اجتماعية أقوى من التطلع إلى الحرية

١٢٥. ليس من الممكن التوصل إلى مقاربة **دائمة** بين التقنية والحرية، لأن التقنية هي إلى حد بعيد القوة الاجتماعية الأكثر قوة وتتعدى باستمرار على الحرية من خلال التنازلات **المتكررة**. تخيّل حالة جارين، يمتلك كل منهما في البداية نفس المساحة من الأرض، لكن أحدهما أقوى من الآخر. القوي يطلب قطعة من أرض الآخر. الضعيف يرفض. القوي يقول، "حسناً، لنتساوم. أعطني نصف ما طلبته". ليس لدى الشخص الضعيف متسع من الخيارات سوى الاستسلام. في وقت لاحق، يطلب الجار القوي قطعة أخرى من الأرض، ومرة أخرى هناك حل وسط، وما إلى ذلك. من خلال فرض سلسلة طويلة من التنازلات على الرجل الأضعف، يحصل القوي في النهاية على كل أرضه. وهكذا هو الأمر في الصراع بين التقنية والحرية.

١٢٦. دعونا نوضح لماذا تعد التقنية قوة اجتماعية أقوى من التطلع إلى الحرية.

١٢٧. إن التقدم التقني الذي يبدو أنه لا يهدد الحرية كثيرًا عادةً ما يتبين أنه يهددها بشكل خطير فيما بعد. على سبيل المثال، ضع في اعتبارك النقل الآلي. كان بإمكان الرجل الذي يمشي سابقاً الذهاب إلى حيث يشاء، السير بوتيرته الخاصة دون اتباع أي لوائح مرور وكان مستقلاً عن أنظمة الدعم التقني. عندما تم تقديم السيارات بدت أنها تزيد من حرية الإنسان. لم يأخذوا أي حرية من الرجل الذي يمشي، ولم يجب على أحد أن يمتلك سيارة إذا كان هو لم يكن يريد واحدة، وأي شخص اختار شراء سيارة يمكنه السفر بشكل أسرع وأبعد بكثير من الرجل الذي يمشي. لكن سرعان ما أدى إدخال وسائل النقل الآلية إلى تغيير المجتمع بطريقة تقيد بشكل كبير حرية الإنسان في التنقل. عندما أصبحت السيارات كثيرة، أصبح من الضروري تنظيم استخدامها على نطاق واسع. في السيارة، لا سيما في المناطق المكتظة بالسكان، لا يمكن للمرء الذهاب إلى حيث يحلو له بالسرعة الخاصة به؛ حركة الفرد تحكمها تدفق حركة المرور وقوانين المرور المختلفة. أحدهم مقيد بعدة التزامات: متطلبات الترخيص، اختبار القيادة، تجديد التسجيل، التأمين، الصيانة المطلوبة للسلامة، الأقساط الشهرية على سعر الشراء. علاوة على ذلك، لم يعد استخدام النقل الآلي اختياريًا. منذ إدخال النقل الآلي، تغير ترتيب مدننا بحيث لم يعد غالبية

الناس يعيشون على مسافة قريبة من مكان عملهم ومناطق التسوق وفرص الترفيه، بحيث **يتعين عليهم الاعتماد** على السيارات من أجل الانتقال. وإلا يجب عليهم استخدام وسائل النقل العام، وفي هذه الحالة يكون لديهم سيطرة أقل على حركتهم مقارنة بقيادة السيارة. حتى حرية الرجل السائر الآن مقيدة بشكل كبير. في المدينة، عليه أن يتوقف باستمرار لانتظار أضواء المرور المصممة بشكل أساسي لخدمة حركة مرور السيارات. في الريف، تجعل حركة مرور السيارات من السير على طول الطريق السريع أمرًا خطيرًا وغير سار. (لاحظ هذه النقطة المهمة التي أوضحناها للتو في حالة النقل الآلي: عندما يتم تقديم عنصر جديد من التقنية كخيار يمكن للفرد قبوله أو عدم قبوله كما يشاء، فإنه لا يبقى بالضرورة اختياريًا. في كثير من الحالات، التقنية الجديدة تغير المجتمع بطريقة تجعل الناس يجدون أنفسهم في النهاية **مجبرين** على استخدامها).

١٢٨. بينما يؤدي التقدم التقني ككل إلى تضييق مجال حريتنا باستمرار، فإن كل تقدم تقني جديد **إذا أخذ على حدة** سيبدو مرغوب فيه. الكهرباء، السباكة الداخلية، الاتصالات السريعة بعيدة المدى... كيف يمكن للمرء أن يجادل ضد أي من هذه الأشياء، أو ضد أي من التطورات التقنية التي لا حصر لها والتي صنعت المجتمع الحديث؟ كان من السخف مقاومة إدخال الهاتف، على سبيل المثال. لقد وفر العديد من المزايا بلا عيوب. ومع ذلك، وكما أوضحنا في الفقرات ٥٩-٧٦، فإن كل هذه التطورات التقنية مجتمعة قد خلقت عالمًا لم يعد فيه مصير الرجل العادي بين يديه أو في أيدي جيرانه وأصدقائه، بل في أيدي السياسيين، المديرين التنفيذيين في الشركات والتقنيين والموظفين المجهولين الذين ليس له سُلطة التأثير عليهم كفرد. [٢١] نفس العملية ستستمر في المستقبل. خذ الهندسة الوراثية، على سبيل المثال. قلة من الناس سوف تقاوم إدخال تقنية وراثية تقضي على مرض وراثي. إنها لا تسبّب أيَّ ضررٍ ظاهر، بل وتمنع الكثير من المُعاناة. لكنّ عددًا كبيرًا من هذه التحسينات الوراثية مُجتمعة، سوف يجعل البشر "منتجات هَندَسَها النظام" لا كائنات أبدعتها الصدفة الحرة أو الإرادة الإلهية (اعتمادًا على معتقداتك الدينية).

١٢٩. وهناك سبب آخر لكون التقنية قوة اجتماعية بهذه القوة، وهو أن التقدم التقني، في سياق مجتمع معين، يسير في اتجاه واحد فقط، لا يمكن عكسه أبدًا. بمجرد إدخال ابتكار تقني، يصبح الناس عادةً معتمدين عليه، بحيث لا يمكنهم الاستغناء عنه مرة أخرى، ما لم يتم استبداله بابتكار أكثر تقدمًا. لا يعتمد الناس كأفراد على عنصر جديد من التقنية فحسب، بل يصبح النظام ككل معتمدًا عليه. (تخيل ما سيحدث للنظام اليوم إذا تم التخلص من أجهزة الحاسوب، على سبيل المثال). وبالتالي يمكن للنظام أن يتحرك في اتجاه واحد فقط، نحو مزيد من التقنية. تفرض التقنية مرارًا وتكرارًا على الحرية التراجع خطوة إلى الوراء، لكن التقنية لا يمكنها أبدًا التراجع — باستثناء الإطاحة بالنظام التقني بأكمله.

١٣٠. تتقدم التقنية بتسارع كبير وتهدد الحرية في العديد من النقاط المختلفة في نفس الوقت (الازدحام، اللوائح والقوانين، زيادة اعتماد الأفراد على المنظمات الكبيرة، الدعاية والتقنيات النفسية الأخرى، الهندسة الوراثية، انتهاك الخصوصية من خلال أجهزة المراقبة والحواسب، إلى آخره). لكبح أي واحد من مهددات الحرية يتطلب ذلك نضالاً اجتماعيًا طويلاً وصعبًا. فأولئك الذين يريدون حماية الحرية، يُعجِزُهُم العدد الهائل من الهجمات الجديدة وسرعة تطورها حتى تصيبهم في النهاية اللامبالاة ويتوقّفوا عن المقاومة. إن مقاومة كل تهديد على حدة سيكون بلا جدوى. لا يمكن أن نأمل في النجاح إلا من خلال محاربة النظام التقني ككل؛ لكن هذه ثورة وليست إصلاح.

١٣١. يميل التقنيون (نستخدم هذا المصطلح بمعناه الواسع لوصف كل من يؤدون مهمة متخصصة تتطلب تدريبًا) إلى الانغماس في عملهم (نشاطهم البديل) لدرجة أنه عندما ينشأ نزاع بين عملهم التقني وحريتهم، ينحازون دائمًا تقريبًا لصالح عملهم التقني. هذا واضح جدا في حالة العلماء، لكنه يظهر أيضاً في أماكن أخرى كثيرة: فالتربويون، حماة البيئة، أعضاء منظمات العمل المدني لا يتورّعون عن استخدام الدعاية [١٤] أو غيرها من الأساليب النفسية لمساعدتهم على تحقيق غاياتهم الجديرة بالثناء. وهكذا أيضا على مستوى الشركات الكبرى والمؤسسات الحكومية التي لا تتردّد في جمع المعلومات حول الأفراد بغض النظر عن حق الخصوصية، طالما يرون ذلك مفيدًا. فغالبًا ما تتضايق أجهزة إنفاذ القانون من الحقوق

الدستورية المكفولة للمشتبه به وغالبًا إنسان برئ بالكامل، فيفعلون كل ما بوسعهم بشكل قانوني (أو في بعض الأحيان بشكل غير قانوني) لتقييد هذه الحقوق أو التحايل عليها. يؤمن معظم هؤلاء التربويين، المسؤولين الحكوميين وموظفي القانون بالحرية والخصوصية والحقوق الدستورية، ولكن عندما تتعارض هذه الحقوق مع عملهم، فإنهم عادة ما يشعرون أن عملهم أكثر أهمية.

١٣٢. من المعروف أن الناس عمومًا يعملون بشكل أفضل وأكثر إصرارًا عند السعي للحصول على مكافأة مقارنة بمحاولة تجنب عقاب أو نتيجة سلبية. العلماء وغيرهم من التقنيين يدفعهم بشكل أساسي المكافآت التي يحصلون عليها من خلال عملهم. لكن أولئك الذين يعارضون الغزو التقني للحرية يعملون على تجنب النتائج السلبية، وبالتالي هناك القليل ممن يعملون بإصرار وبصورة جيدة في هذه المهمة المحبطة. إذا حقق الإصلاحيون في أي وقت مضى انتصارًا بارزاً بدا أنه شكّل حاجزاً صلبًا ضد المزيد من تآكل الحرية الناتجة عن التقدم التقني، فسيميل معظمهم إلى الاسترخاء وتحويل انتباههم إلى أنشطة أكثر قبولاً. لكن العلماء سيظلون مشغولين في مختبراتهم، وستجد التقنية أثناء تقدمها طرقاً، على الرغم من أي حواجز، لممارسة المزيد والمزيد من السيطرة على الأفراد وجعلهم دائمًا أكثر اعتمادًا على النظام.

١٣٣. لا يمكن لأي ترتيبات اجتماعية، سواء كانت قوانين، مؤسسات، أعراف أو قواعد أخلاقية، أن توفر حماية دائمة من التقنية. يُظهر التاريخ أن جميع الترتيبات الاجتماعية مؤقتة؛ جميعها تتغير أو تنهار في النهاية. لكن التقدم التقني دائم في سياق حضارة معينة. افترض، على سبيل المثال، أنه كان من الممكن التوصل إلى بعض الترتيبات الاجتماعية التي من شأنها أن تمنع تطبيق الهندسة الوراثية على البشر، أو تمنع تطبيقها بطريقة تهدد الحرية والكرامة. ومع ذلك، ستظل التقنية تنتظر. عاجلاً أم آجلاً سينهار الترتيب الاجتماعي. ربما في وقت قريب، بالنظر إلى وتيرة التغيير في مجتمعنا. ثم تبدأ الهندسة الوراثية في غزو مجال حريتنا. وسيكون هذا الغزو لا رجوع فيه (إلا بانهيار الحضارة التقنية نفسها). يجب تبديد أي أوهام حول تحقيق أي شيء دائم من خلال الترتيبات الاجتماعية بما يحدث حاليًا مع التشريعات البيئية.

قبل بضع سنوات بدا أن هناك حواجز قانونية آمنة تمنع على الأقل بعض أسوأ أشكال التدهور البيئي. لكن بمجرد تغير في اتجاه الرياح السياسية، بدأت هذه الحواجز في الانهيار.

١٣٤. لكل الأسباب السابقة، تعد التقنية قوة اجتماعية أقوى من التطلع إلى الحرية. لكن هذا التصريح يتطلب معيارًا مهمًا. يبدو أنه خلال العقود العديدة القادمة سوف يتعرض النظام الصناعي التقني لضغوط شديدة بسبب المشاكل الاقتصادية والبيئية، وخصوصًا بسبب مشاكل السلوك البشري (الإبعاد، التمرّد، العدائية، مجموعة متنوعة من الصعوبات الاجتماعية والنفسية). نأمل أن تؤدي الضغوط التي من المحتمل أن يمر النظام بها إلى انهياره، أو على الأقل إضعافه بشكل كافٍ حتى تصبح الثورة ضده ممكنة. إذا حدثت مثل هذه الثورة ونجحت، فسيكون التطلع إلى الحرية في تلك اللحظة بالذات أقوى من التقنية.

١٣٥. في الفقرة ١٢٥، استخدمنا تشبيهًا لجار ضعيف تركه جار قوي مُعدمًا والذي يأخذ كل أرضه بفرض سلسلة من التنازلات عليه. لكن افترض الآن أن الجار القوي مرِض، بحيث يكون غير قادر على الدفاع عن نفسه. يمكن للجار الضعيف أن يجبر القوي على إعادته أرضه، أو يمكنه قتله. إذا سمح للرجل القوي بالبقاء على قيد الحياة وأجبره فقط على إعادة الأرض، فهو أحمق، لأنه عندما يتعافى الرجل القوي سيأخذ كل الأرض لنفسه مرة أخرى. البديل المعقول الوحيد للرجل الأضعف هو قتل القوي بينما تتاح له الفرصة. بنفس الطريقة، بينما النظام الصناعي مريض يجب علينا تدميره. إذا تنازلنا وتركناه يتعافى من مرضه، فسوف يقضي في النهاية على كل حريتنا.

لقد ثبت أن المشكلات الاجتماعية الأبسط غير قابلة للحل

١٣٦. إذا كان أي شخص لا يزال يتخيل أنه سيكون من الممكن إصلاح النظام بطريقة تحمي الحرية من التقنية، فليأخذ في الاعتبار كيف تعامل مجتمعنا بطريقة خرقاء وغير ناجحة في الغالب مع مشاكل اجتماعية أخرى أكثر بساطة وأكثر وضوحًا بكثير. من بين أمور أخرى، فشل النظام في وقف التدهور البيئي، الفساد السياسي، الاتجار بالمخدرات أو العنف المنزلي.

١٣٧. خذ مشاكلنا البيئية على سبيل المثال. هنا يكون تضارب القيمة واضحًا: المنفعة الاقتصادية الآن مقابل إنقاذ بعض مواردنا الطبيعية لأحفادنا. [٢٢] لكن فيما يتعلق بهذا الموضوع، لا نحصل إلا على الكثير من الثرثرة والتعتيم من الأشخاص الذين لديهم السُلطة، ولا شيء مثل مسار عمل واضح ومتسق، ونستمر في مراكمة المشاكل البيئية التي سيتعين على أحفادنا التعايش معها. تتكون محاولات حل المشكلة البيئية من صراعات وتنازلات بين فصائل عدة، بعضها يتصاعد في لحظة، والبعض الآخر في لحظة أخرى. خط النضال يتغير مع تغير التيارات المتغيرة للرأي العام. هذه ليست عملية عقلانية، كما أنها ليست عملية من المحتمل أن تؤدي إلى حل ناجح وناجع للمشكلة. المشاكل الاجتماعية الكبرى، إذا تم "حلها" على الإطلاق، نادرًا ما يتم حلها أو لا يتم حلها أبدًا من خلال أي خطة عقلانية شاملة. إنهم يجهدون أنفسهم فقط عبر عملية تقوم فيها المجموعات المختلفة المتنافسة التي تسعى وراء اهتماماتها الذاتية [٢٣] (قصيرة المدى في العادة) للوصول (بشكل أساسي عن طريق الحظ) إلى تسوية غير مستقرة مؤقتة إلى حد ما. في الواقع، المبادئ التي صغناها في الفقرات ١٠٠-١٠٦ تجعل من المشكوك فيه أن التخطيط الاجتماعي العقلاني طويل الأجل يمكن أن يكون ناجحًا على الإطلاق.

١٣٨. هكذا يتضح أن للجنس البشري في أحسن الأحوال قدرة محدودة للغاية على حل المشاكل الاجتماعية، حتى المباشرة منها نسبيًا. فكيف سيحل المشكلة الأكثر صعوبة ودقة وهي التوفيق بين الحرية والتقنية؟ تقدم التقنية مزايا مادية واضحة، في حين أن الحرية هي فكرة مجردة تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين. ومن السهل طمس خسارتها بالدعاية والكلام المعسول.

١٣٩. ولاحظ هذا الاختلاف المهم: من المتصور أن مشاكلنا البيئية (على سبيل المثال) قد تتم تسويتها في يوم من الأيام من خلال خطة عقلانية وشاملة، ولكن إذا حدث ذلك فسيكون ذلك فقط لأنه من مصلحة النظام على المدى الطويل حل هذه المشاكل. لكن ليس من مصلحة النظام الحفاظ على الحرية أو استقلالية المجموعات الصغيرة. على العكس من ذلك، من مصلحة النظام السيطرة على السلوك البشري إلى أقصى حد ممكن. [٢٤] وهكذا، في حين أن الاعتبارات العملية قد تجبر النظام في النهاية على اتباع نهج منطقي وحكيم للمشاكل البيئية، فإن الاعتبارات العملية بنفس القدر ستجبر النظام على تنظيم السلوك البشري بشكل وثيق أكثر من أي وقت مضى (ويفضل أن يكون ذلك بوسائل غير مباشرة من شأنها إخفاء التعدي على الحرية). هذا ليس رأينا فقط. أكد علماء الاجتماع البارزون (مثل جيمس كيو ويلسون) على أهمية "التنشئة الاجتماعية" للناس بشكل أكثر فعالية.

الثورة أسهل من الإصلاح

١٤٠. نتمنى أن نكون قد أقنعنا القارئ بأن النظام لا يمكن إصلاحه بطريقة توفق بين الحرية والتقنية. المخرج الوحيد هو الاستغناء عن النظام الصناعي التقني كليًا. هذا يعني ثورة، ليس بالضرورة انتفاضة مسلحة، ولكن بالتأكيد تغيير جذري وأساسي في طبيعة المجتمع.

١٤١. يميل الناس إلى الافتراض أنه نظرًا لأن الثورة تنطوي على تغيير أكبر بكثير مما يحدث في الإصلاح، فإن تحقيق الثورة أصعب من تحقيق الإصلاح. في الواقع، الثورة في ظل ظروف معينة أسهل بكثير من الإصلاح. والسبب هو أن الحركة الثورية يمكن أن تلهم قوة الالتزام التي لا يمكن لحركة الإصلاح أن تلهمها. تقدم حركة الإصلاح مجرد حل لمشكلة اجتماعية معينة. تقدم الحركة الثورية حل جميع المشاكل دفعة واحدة وخلق عالم جديد بالكامل؛ إنها توفر نوعًا من المثالية التي يخاطر الناس بشدة من أجلها ويقدمون تضحيات كبيرة. لهذه الأسباب، سيكون من الأسهل بكثير الإطاحة بالنظام التقني بالكامل بدلاً من وضع قيود فعالة ودائمة على تطوير أو تطبيق أي قطاع واحد من التقنية، كالهندسة الوراثية، على سبيل المثال. لن يكرس الكثير من الناس أنفسهم بشغف أوحد لفرض قيود على الهندسة الوراثية والحفاظ عليها، ولكن في ظل ظروف مناسبة، قد يكرس عدد كبير من الناس أنفسهم بشغف لثورة ضد النظام التقني الصناعي. كما أشرنا في الفقرة ١٣٢، فإن الإصلاحيين الذين يسعون إلى الحد من جوانب معينة من التقنية سيعملون على تجنب نتيجة سلبية. لكن الثوار يعملون للحصول على مكافأة قوية — تحقيق رؤيتهم الثورية — وبالتالي يعملون بجدية أكبر و بإصرار أكثر مما يفعل الإصلاحيون.

١٤٢. إن الإصلاح مقيد دائمًا بالخوف من العواقب المؤلمة إذا ذهبت التغييرات بعيدًا. ولكن بمجرد أن تسيطر حمى ثورية على المجتمع، يصبح الناس على استعداد لتحمل مصاعب غير محدودة من أجل ثورتهم. ظهر هذا بوضوح في الثورتين الفرنسية والروسية.

قد يكون في مثل هذه الحالات أن أقلية فقط من السكان التزمت حقاً بالثورة، لكن هذه الأقلية كبيرة ونشطة بدرجة كافية بحيث أصبحت القوة المهيمنة في المجتمع. سيكون لدينا المزيد لنقوله عن الثورة في الفقرات ١٨٠ إلى ٢٠٥.

السيطرة على السلوك البشري

١٤٣. منذ بداية الحضارة، كان على المجتمعات المنظمة أن تمارس ضغوطاً على الكائنات البشرية من أجل عمل الكائن الاجتماعي الأكبر. تختلف أنواع الضغوط اختلافاً كبيرًا من مجتمع إلى آخر. بعض الضغوط جسدية (سوء التغذية، العمل المُفرط، التلوث البيئي)، بعضها نفسي (الضوضاء، الازدحام، إجبار السلوك البشري على التشكّل بالطريقة التي يتطلبها المجتمع). في الماضي، كانت الطبيعة البشرية ثابتة تقريبًا، أو تغيرت على أي حال ضمن حدود معينة فقط. وبالتالي، تمكنت المجتمعات من دفع الناس إلى حدود معينة فقط. عندما يتم تجاوز حد التحمل البشري، تبدأ الأمور بالسوء: التمرّد، أو الجريمة، أو الفساد، أو التهرب من العمل، أو الاكتئاب ومشاكل عقلية أخرى، أو ارتفاع معدل الوفيات، أو انخفاض معدل المواليد أو أي شيء آخر، بحيث ينهار المجتمع، أو يصبح أدائه غير فعال للغاية ويتم استبداله (سريعًا أو تدريجيًا، من خلال الغزو، الاستنزاف أو التطور) بنوع أكثر فعالية من المجتمعات. [25]

١٤٤. وهكذا، فقد وضعت الطبيعة البشرية في الماضي قيودا معينة على تطور المجتمعات. يمكن دفع الناس إلى حد معين وليس أكثر. لكن هذا قد يتغير اليوم، لأن التقنية الحديثة تطور طرقاً لتعديل البشر.

١٤٥. تخيل مجتمعا يُخضع الناس لظروف تجعلهم غير سعداء بشكل رهيب، ثم يعطيهم المخدرات للتخلص من تعاستهم. خيال علمي؟ إنه يحدث بالفعل إلى حد ما في مجتمعنا. من المعروف أن معدل الاكتئاب السريري قد ازداد بشكل كبير في العقود الأخيرة. نعتقد أن هذا يرجع إلى تعطيل عملية السُلطة، كما هو موضح في الفقرات ٥٩-٧٦. ولكن حتى لو كنا مخطئين، فإن المعدل المتزايد للاكتئاب هو بالتأكيد نتيجة لبعض الظروف الموجودة في مجتمع اليوم. بدلاً من إزالة الظروف التي تجعل الناس يعانون من الاكتئاب، يقدم المجتمع الحديث لهم عقاقير مضادة للاكتئاب. في الواقع، مضادات الاكتئاب هي وسيلة لتعديل الحالة الداخلية للفرد بطريقة تمكّنه من تحمل الظروف الاجتماعية التي لولا ذلك لوجدها غير محتملة.

(نعم، نحن نعلم أن الاكتئاب غالبًا ما يكون من أصل وراثي بحت. ونشير هنا إلى تلك الحالات التي تلعب فيها البيئة دورًا مهيمناً).

١٤٦. إن العقاقير التي تؤثر على العقل ليست سوى مثال واحد على الأساليب الجديدة للتحكم في السلوك البشري التي يطورها المجتمع الحديث. دعونا نلقي نظرة على بعض الطرق الأخرى.

١٤٧. في البداية، هناك تقنيات المراقبة. تُستخدم آلات التصوير المخفية الآن في معظم المتاجر وفي العديد من الأماكن الأخرى، تُستخدم أجهزة الحاسوب لجمع ومعالجة كميات هائلة من المعلومات حول الأفراد. المعلومات التي يتم الحصول عليها تزيد بشكل كبير من فعالية الإكراه الجسدي (أي إنفاذ القانون). [٢٦] ثم هناك طرق الدعاية التي توفر لها وسائل الإعلام قنوات فعالة. لقد تم تطوير تقنيات فعالة للفوز بالانتخابات، بيع المنتجات، التأثير على الرأي العام. تعمل صناعة الترفيه كأداة نفسية مهمة للنظام، حتى عندما تنشر كميات كبيرة من الجنس والعنف. يوفر الترفيه للإنسان الحديث وسيلة أساسية للهروب. أثناء استغراقه في مشاهدة شاشة العرض والمقاطع المصورة وما إلى ذلك، يمكنه أن ينسى التوتر، القلق، الإحباط، عدم الرضا. العديد من الشعوب البدائية، عندما لا يكون لديهم عمل يقومون به، يكونون قانعين تمامًا بالجلوس لساعات في كل مرة لا يفعلون شيئًا على الإطلاق، لأنهم في سلام مع أنفسهم ومع عالمهم. لكن معظم الناس الحديثين يجب أن يكونوا مشغولين باستمرار أو مستمتعين، وإلا فإنهم يشعرون "بالملل"، أي يصابون بالتململ، عدم الارتياح، التوتر.

١٤٨. تقنيات أخرى تضرب أعمق مما سبق. لم يعد التعليم مجرد مسألة صفع مؤخرة طفل عندما لا يعرف دروسه والتربيت على رأسه عندما يعرفها. لقد أصبح أسلوبًا علميًا للتحكم في نمو الطفل. على سبيل المثال، حققت مراكز سيلڤان التعليمية* نجاحًا كبيرًا في تحفيز الأطفال على الدراسة، كما تُستخدم الأساليب النفسية أيضاً بنجاح أكثر أو أقل في العديد من المدارس التقليدية. تم تصميم تقنيات "الأبوة والأمومة" التي يتم تدريسها للوالدين لجعل الأطفال يقبلون القيم الأساسية للنظام ويتصرفون بطرق يرضى عنها النظام.

* مؤسسة تعليمية خاصة على نظام الشركات، عالية التخصصية وضخمة التنظيم للطلبة في مرحلة ما قبل الدراسة الجامعية

أنظمة "الصحة العقلية"، وتقنيات "التدخل"، والعلاج النفسي، وما إلى ذلك، مصممة ظاهريًا لإفادة الأفراد، ولكنها في الواقع تعمل عادةً كطرق لحث الأفراد على التفكير والتصرف حسب ما يتطلبه النظام. (لا يوجد تناقض هنا؛ فالفرد الذي تجعله مواقفه أو سلوكه في صراع مع النظام يواجه قوة أقوى من أن يغلبها أو يهرب منها، وبالتالي من المحتمل أن يعاني من الإجهاد، الإحباط، الهزيمة. سيكون طريقه أسهل بكثير إذا كان يفكر ويتصرف كما يتطلب النظام. وبهذا المعنى، فإن النظام يعمل لصالح الفرد عندما يغسل دماغه حتى يتوافق معه). إساءة معاملة الأطفال بأشكالها الجسيمة والواضحة مرفوضة في معظم، إذا لم يكن في كل، الثقافات. تعذيب طفل لسبب تافه أو بدون سبب على الإطلاق هو أمر ينفّر الجميع تقريبًا. لكن العديد من علماء النفس يفسرون مفهوم الإساءة على نطاق أوسع. هل الصفع على مؤخرته، عند استخدامه كجزء من نظام تأديب منطقي ومتسق، هو شكل من أشكال الإساءة؟ سيتم تحديد السؤال في نهاية المطاف من خلال ما إذا كان الصفع يميل إلى إنتاج سلوك يجعل الشخص على ما يرام مع النظام الحالي للمجتمع. في الممارسة العملية، تميل كلمة "إساءة" إلى تفسيرها لتشمل أي طريقة لتربية الأطفال تنتج سلوكاً غير ملائم للنظام. وهكذا، عندما يذهبون إلى أبعد من منع القسوة الواضحة التي لا معنى لها، فإن برامج منع "إساءة معاملة الأطفال" تكون موجهة نحو السيطرة على السلوك البشري نيابة عن النظام.

١٤٩. من المفترض أن تستمر الأبحاث لزيادة فعالية الأساليب النفسية للتحكم في السلوك البشري. لكننا نعتقد أنه من غير المحتمل أن تكون التقنيات النفسية وحدها كافية لتكييف البشر مع نوع المجتمع الذي تخلقه التقنية. ربما يتعين استخدام الأساليب الحيوية. لقد ذكرنا بالفعل استخدام المخدرات في هذا الصدد. قد يوفر علم الأعصاب طرقاً أخرى لتعديل العقل البشري. بدأت الهندسة الوراثية للبشر بالحدوث على شكل "علاج بالمورثات"، ولا يوجد سبب لافتراض أن مثل هذه الأساليب لن تُستخدم في النهاية لتعديل تلك الجوانب من الجسم التي تؤثر على الأداء العقلي.

١٥٠. كما ذكرنا في الفقرة ١٣٤، يبدو أن المجتمع الصناعي يدخل على الأرجح فترة من الإجهاد الشديد، ويرجع ذلك جزئيًا إلى مشاكل السلوك البشري وجزئيًا إلى

المشاكل الاقتصادية والبيئية. ونسبة كبيرة من المشاكل الاقتصادية والبيئية للنظام تنجم عن طريقة تصرف البشر. الإبعاد، تدني احترام الذات، الاكتئاب، العدائية، التمرّد؛ الأطفال الذين لن يدرسوا، عصابات الشباب، تعاطي المخدرات بشكل غير قانوني، الاغتصاب، إساءة معاملة الأطفال، جرائم أخرى، الجنس غير الآمن، حمل المراهقات، النمو السكاني، الفساد السياسي، الكراهية العرقية، التنافس العرقي، الصراع العقائدي المرير (على سبيل المثال، المؤيد للاختيار في مقابل المؤيد للحياة – فيما يخص الإجهاض)، التطرف السياسي، الإرهاب، التخريب، والجماعات المناهضة للحكومة، جماعات الكراهية. كل هذا يهدد بقاء النظام ذاته. لذلك **سيضطر** النظام إلى استخدام كل الوسائل العملية للسيطرة على السلوك البشري.

١٥١. من المؤكد أن الاضطراب الاجتماعي الذي نراه اليوم ليس نتيجة مجرد الصدفة. يمكن أن يكون فقط نتيجة لظروف الحياة التي يفرضها النظام على الناس. (لقد جادلنا بأن أهم هذه الظروف هو تعطيل عملية السُلطة). إذا نجحت الأنظمة في فرض سيطرة كافية على السلوك البشري لضمان بقائها، فسيتم تجاوز نقطة تحول جديدة في تاريخ البشرية. في حين فرضت حدود التحمل البشري في السابق قيودًا على تطور المجتمعات (كما أوضحنا في الفقرتين ١٤٣ و ١٤٤)، سيكون المجتمع الصناعي التقني قادرًا على تجاوز هذه الحدود عن طريق تعديل البشر، سواء عن طريق الأساليب النفسية أو الأساليب الحيوية أو كليهما. في المستقبل، لن يتم تعديل النظم الاجتماعية لتناسب احتياجات البشر. بدلاً من ذلك، سيتم تعديل الإنسان ليناسب احتياجات النظام.[27]

١٥٢. بشكل عام، من المحتمل ألا يتم إدخال التحكم التقني في السلوك البشري بنيّة شمولية أو حتى من خلال الرغبة الواعية في تقييد حرية الإنسان. [٢٨] كل خطوة جديدة في تأكيد السيطرة على العقل البشري سوف تؤخذ على أنها استجابة عقلانية لمشكلة ما تواجه المجتمع، مثل علاج إدمان الكحول، تقليل معدل الجريمة أو حث الشباب على دراسة العلوم والهندسة. في كثير من الحالات سيكون هناك مبرر إنساني. على سبيل المثال، عندما يصف طبيب نفسي مضادًا للاكتئاب لمريض مكتئب، فمن الواضح أنه يقدم خدمة لهذا الفرد. سيكون من اللا إنساني حجب الدواء عن شخص يحتاجه. عندما يرسل الآباء أطفالهم إلى مراكز سيلڤان

التعليمية للتلاعب بهم ليصبحوا متحمسين لدراساتهم، فإنهم يفعلون ذلك من اهتمامهم برفاهية أطفالهم. قد يكون بعض هؤلاء الآباء يرغبون في ألا يحتاج المرء إلى تدريب متخصص للحصول على وظيفة وأن طفلهم لم يكن مضطرًا إلى غسل دماغه ليصبح مهووسًا بالحاسوب. لكن ماذا بيدهم أن يفعلوا؟ لا يمكنهم تغيير المجتمع، وقد يكون طفلهم عاطلاً عن العمل إذا لم يكن لديه مهارات معينة. لذلك يرسلونه إلى سيلڤان.

١٥٣. وبالتالي، لن يتم إدخال التحكم في السلوك البشري بقرار محسوب من السلطات ولكن من خلال عملية التطور الاجتماعي (تطور **سريع**، مع ذلك). سيكون من المستحيل مقاومة العملية، لأن كل تقدم، إن أخذ على حدة، سيبدو مفيدًا، أو على الأقل سيبدو الشر المتورط في تحقيق التقدم أقل مما سينتج عن عدم القيام به (انظر الفقرة ١٢٧). يتم استخدام الدعاية على سبيل المثال للعديد من الأغراض الجيدة، مثل محاربة إساءة معاملة الأطفال أو الكراهية العرقية. [١٤] من الواضح أن التربية الجنسية مفيدة، لكن تأثير التربية الجنسية (إلى الحد الذي يجعلها ناجحة) يكمن في إبعاد تشكيل المواقف الجنسية عن الأسرة ووضعها في أيدي الدولة كما يمثلها نظام المدارس العامة.

١٥٤. لنفترض أنه تم اكتشاف سمة حيوية تزيد من احتمالية أن يكبر الطفل ليصبح مجرمًا، وافترض أن نوعًا من العلاج بالمورثات يمكنه إزالة هذه السمة. [٢٩] بالطبع معظم الآباء الذين يمتلك أطفالهم هذه السمة سيخضعونهم للعلاج. سيكون من غير الإنساني أن تفعل غير ذلك، لأن الطفل من المحتمل أن يعيش حياة بائسة إذا نشأ ليصبح مجرمًا. لكن العديد من المجتمعات البدائية أو معظمها لديها معدل جريمة منخفض مقارنة بمجتمعنا، على الرغم من أنها لا تمتلك أساليب عالية التقنية لتربية الأطفال ولا أنظمة عقابية قاسية. نظرًا لعدم وجود سبب لافتراض أن الرجال الأكثر حداثة لديهم ميول مفترسة فطرية أكثر من الرجال البدائيين، من المؤكد أن معدل الجريمة المرتفع في مجتمعنا هو بسبب الضغوط التي تفرضها الظروف الحديثة على الناس، والتي لا أو لن يتكيف الكثيرون معها. لذا، فإن العلاج المصمم لإزالة الميول الإجرامية المحتملة هو على الأقل جزئيًا طريقة لإعادة هندسة الأشخاص بحيث يتناسبون مع متطلبات النظام.

١٥٥. يميل مجتمعنا إلى اعتبار أي نمط من تفكير أو سلوك غير ملائم للنظام على أنه "مرض"، وهذا أمر معقول لأنه عندما لا يتأقلم الفرد في النظام فإن ذلك يسبب الألم للفرد وكذلك المشاكل للنظام. لذا، يُنظر إلى التلاعب بالفرد لتكييفه مع النظام على أنه "علاج" لـ "المرض" وبالتالي فهو جيد.

١٥٦. في الفقرة ١٢٧ أشرنا إلى أنه إذا كان استخدام عنصر جديد من التقنية اختياريًا **في البداية**، فإنه **لا يبقى** بالضرورة اختياريًا، لأن التقنية الجديدة تميل إلى تغيير المجتمع بطريقة تجعل العمل صعبًا أو مستحيلاً بالنسبة للفرد دون استخدام تلك التقنية. هذا ينطبق أيضاً على تقنية السلوك البشري. في عالم يتم فيه وضع معظم الأطفال في أنظمة تدريبية لجعلهم متحمسين للدراسة، سيضطر أحد الوالدين تقريبًا إلى وضع ابنه في مثل هذا نظام، لأنه إذا لم يفعل ذلك، فسيكبر الطفل ليكون، مقارنةً بالآخرين، جاهلاً وبالتالي غير قابل للتوظيف. أو لنفترض أن علاجًا حيويًا قد اُكتشف أنه، وبدون آثار جانبية غير مرغوب فيها، سيقلل بشكل كبير من الضغط النفسي الذي يعاني منه الكثير من الناس في مجتمعنا. إذا اختار عدد كبير من الناس الخضوع للعلاج، فسيتم تقليل المستوى العام للتوتر في المجتمع، بحيث يمكن للنظام زيادة الضغوط المسببة للتوتر. سيؤدي هذا إلى مزيد من الأشخاص للخضوع للعلاج؛ وهكذا دواليك، بحيث تصبح الضغوط في نهاية المطاف ثقيلة للغاية بحيث لا يتمكن سوى عدد قليل من الناس من البقاء على دون الخضوع للعلاج المخفض للتوتر. في الواقع، يبدو أن شيئًا كهذا قد حدث بالفعل مع واحدة من أهم الأدوات النفسية في مجتمعنا لتمكين الناس من تقليل التوتر (أو على الأقل الهروب مؤقتاً منه)، إنه الترفيه الجماعي (انظر الفقرة ١٤٧). استخدامنا للترفيه الجماعي "اختياري": لا يوجد قانون يلزمنا بمشاهدة شاشة العرض، الاستماع إلى المذياع، قراءة المجلات. ومع ذلك، فإن الترفيه الجماعي هو وسيلة للهروب وتقليل التوتر الذي أصبح معظمنا يعتمد عليه. يشتكي الجميع من قذارة البث المرئي، لكن الجميع تقريبًا يشاهده. قلة من الناس تخلوا عن عادة مشاهدته، لكنه سيكون شخصًا نادرًا يمكنه التعايش اليوم دون استخدام **أي** شكل من أشكال الترفيه الجماعي.

(ومع ذلك، حتى وقت قريب جدًا في التاريخ البشري، كان معظم الناس يتعايشون بشكل جيد للغاية مع عدم وجود أي ترفيه آخر غير ذلك الذي أنشأه كل مجتمع محلي لنفسه). بدون صناعة الترفيه، ربما لم يكن النظام بمقدوره الإفلات بكل هذا القدر من التوتر الناتج عن الضغط علينا كما يفعل.

١٥٧. بافتراض بقاء المجتمع الصناعي، فمن المحتمل أن تكتسب التقنية في نهاية المطاف شيئًا يقترب من السيطرة الكاملة على السلوك البشري. لقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الفكر والسلوك البشري لهما أساس حيوي إلى حد كبير. كما أظهر المجربون، يمكن تشغيل وإيقاف مشاعر مثل الجوع، البهجة، الغضب والخوف عن طريق التحفيز الكهربائي لأجزاء مناسبة من الدماغ. يمكن تدمير الذكريات عن طريق إتلاف أجزاء من الدماغ أو يمكن إخراجها إلى السطح عن طريق التحفيز الكهربائي. يمكن أن تُحدَث الهلوسة أو تُغيَر الحالة المزاجية عن طريق المخدرات. قد توجد أو لا توجد روح بشرية غير مادية، ولكن إذا كانت هناك روح فمن الواضح أنها أقل قوة من الآليات الحيوية للسلوك البشري. لأنه إذا لم يكن الأمر كذلك، فلن يتمكن الباحثون بهذه السهولة من التلاعب بالمشاعر والسلوك البشري بالعقاقير والتيارات الكهربائية.

١٥٨. من المفترض أنه سيكون من غير العملي لجميع الناس إدخال أقطاب كهربائية في رؤوسهم حتى يمكن للسلطات التحكم فيها. لكن حقيقة أن الأفكار والمشاعر البشرية منفتحة للغاية على التدخل الحيوي تظهر أن مشكلة التحكم في السلوك البشري هي في الأساس مشكلة تقنية؛ مشكلة خلايا عصبية، هرمونات وجزيئات معقدة؛ نوع من المشاكل التي يمكن مهاجمتها علميًا. بالنظر إلى السجل المتميز لمجتمعنا في حل المشكلات التقنية، فمن المحتمل بشكل كبير إحراز تقدم كبير في السيطرة على السلوك البشري.

١٥٩. هل ستمنع المقاومة العامة إدخال التحكم التقني في السلوك البشري؟ بالتأكيد ستمنع إذا جرت محاولة لإدخال مثل هذه السيطرة دفعة واحدة. ولكن بما أنه سيتم إدخال التحكم التقني من خلال سلسلة طويلة من التطورات الصغيرة، فلن تكون هناك مقاومة عامة منطقية وفعالة. (انظر الفقرات ١٢٧، ١٣٢، ١٥٣).

١٦٠. لأولئك الذين يعتقدون أن كل هذا يبدو وكأنه خيال علمي، نشير إلى أن الخيال العلمي بالأمس هو حقيقة اليوم. لقد غيرت الثورة الصناعية بشكل جذري بيئة الإنسان وطريقة حياته، ومن المتوقع فقط أنه مع تطبيق التقنية بشكل متزايد على الجسم والعقل البشريين، فإن الإنسان نفسه سيتغير جذريًا كما حدث في بيئته وطريقة حياته.

١٦١. لكننا تقدمنا في قصتنا. إن تطوير سلسلة من التقنيات النفسية أو الحيوية في المختبر للتلاعب بالسلوك البشري شيء، ودمج هذه التقنيات في نظام اجتماعي فعال شيء آخر. المعضلة الأخيرة هي الأكثر صعوبة بين الاثنين. على سبيل المثال، في حين أن تقنيات علم النفس التربوي تعمل بشكل جيد بلا شك في "المدارس التجريبية" حيث يتم تطويرها، فليس من السهل بالضرورة تطبيقها بشكل فعال في جميع أنحاء نظامنا التعليمي. نعلم جميعًا كيف تبدو العديد من مدارسنا. المعلمون مشغولون جدًا بأخذ السكاكين والمسدسات من الأطفال عن إخضاعهم لأحدث التقنيات لجعلهم مهووسين بالحواسب. وهكذا، على الرغم من كل التطورات التقنية المتعلقة بالسلوك البشري، فإن النظام حتى الآن لم يكن ناجحًا بشكل مثير للإعجاب في السيطرة على البشر. الأشخاص الذين يخضع سلوكهم بشكل جيد إلى حد ما لسيطرة النظام هم من النوع الذي ينتمون لـ "الطبقة الوسطى". لكن هناك أعدادًا متزايدة من الأشخاص الذين هم بطريقة أو بأخرى متمرّدين ضد النظام: مُعتالي أنظمة الرعاية الحكومية، عصابات الشباب، الطوائف، النازيين، المتطرفين البيئيين، رجال التنظيمات المسلحة غير النظامية، وما إلى ذلك.

١٦٢. يخوض النظام حاليًا كفاحًا يائسًا للتغلب على بعض المشاكل التي تهدد بقاءه، ومن أهمها مشاكل السلوك البشري. إذا نجح النظام في اكتساب سيطرة كافية على السلوك البشري بالسرعة الكافية، فمن المحتمل أن يستمر. وإلا فإنه سوف ينهار. نعتقد أنه من المرجح أن يتم حل المشكلة في غضون العقود العديدة القادمة، لنقل ٤٠ إلى ١٠٠ عام.

١٦٣. لنفترض أن النظام نجا من أزمة العقود العديدة التالية. بحلول ذلك الوقت سيتحتم عليه أن يحل، أو على الأقل يسيطر، على المشاكل الرئيسية التي تواجهه، ولا سيما تلك المتعلقة بـ "التنشئة الاجتماعية" للبشر؛ أي جعل الناس طيعين بدرجة كافية بحيث لا يَعُد سلوكهم مهددًا للنظام. وبتحقيق ذلك، لا يبدو أنه سيكون هناك أي عقبة أخرى أمام تطور التقنية، ومن المفترض أن تتقدم نحو استنتاجها المنطقي، وهو التحكم الكامل في كل شيء على الأرض، بما في ذلك البشر

وجميع الكائنات الحية المهمة الأخرى. قد يصبح النظام منظمة وحدوية متجانسة، أو قد يكون مجزءًا إلى حد ما ويتكون من عدد من المنظمات التي تتعايش في علاقة تتضمن عناصر من التعاون والمنافسة، تمامًا كما هو الحال اليوم مع الحكومة والشركات والمنظمات الكبيرة الأخرى، يتعاونون ويتنافسون مع بعضهم البعض. غالبًا ما ستختفي حرية الإنسان، لأن الأفراد والمجموعات الصغيرة سيكونون عاجزين أمام المنظمات الكبيرة المسلحة بالتقنية الفائقة وترسانة من الأدوات النفسية والحيوية المتقدمة للتلاعب بالبشر، إلى جانب أدوات المراقبة والإكراه الجسدي. فقط عدد قليل من الناس سيكون لديهم أي سُلطة حقيقية، وحتى هؤلاء ربما لن يتمتعوا إلا بقدر محدود للغاية من الحرية، لأن سلوكهم أيضاً سيتم تنظيمه؛ تمامًا كما هو الحال اليوم، يمكن للسياسيين والمديرين التنفيذيين في الشركات الاحتفاظ بمناصبهم في السُلطة فقط طالما ظل سلوكهم ضمن حدود معينة ضيقة إلى حد ما.

١٦٤. لا تتخيل أن الأنظمة ستتوقف عن تطوير تقنيات أخرى للتحكم في البشر والطبيعة بمجرد انتهاء أزمة العقود القليلة القادمة، ولم تعد السيطرة المتزايدة ضرورية لبقاء النظام. على العكس من ذلك، بمجرد انتهاء الأوقات الصعبة سيزيد النظام من سيطرته على الناس والطبيعة بسرعة أكبر، لأنه لن يعوقه بعد الآن صعوبات من النوع الذي يعاني منها حاليًا. البقاء ليس الدافع الرئيسي لبسط السيطرة. كما أوضحنا في الفقرات ٨٧-٩٠، يقوم التقنيون والعلماء بعملهم إلى حد كبير كنشاط بديل؛ أي أنها تلبي حاجتهم إلى السُلطة من خلال حل المشكلات التقنية. سيستمرون في القيام بذلك بحماس وبلا هوادة، ومن بين أكثر المشكلات إثارة للاهتمام وتحديًا بالنسبة لهم لحلها ستكون تلك المتعلقة بفهم الجسم والعقل البشري والتدخل في تطورها. من أجل "خير الإنسانية" بالطبع.

١٦٥. لكن لنفترض، من ناحية أخرى، أن ضغوط العقود القادمة ستكون أكثر من اللازم بالنسبة للنظام. إذا تعطل النظام، فقد تكون هناك فترة من الفوضى، "وقت الاضطرابات" مثل تلك التي سجلها التاريخ في عهود مختلفة من الماضي. من المستحيل التنبؤ بما سيحدث في مثل هذا الوقت من الاضطرابات، ولكن على أي حال، سيتم منح الجنس البشري فرصة جديدة. يتمثل الخطر الأكبر في أن المجتمع

الصناعي قد يبدأ في إعادة تكوين نفسه في غضون السنوات القليلة الأولى بعد الانهيار. بالتأكيد سيكون هناك الكثير من الناس (خاصة من المتعطشين للسُلطة) الذين سيكونون متلهفين لإعادة تشغيل المصانع مرة أخرى.

١٦٦. لذلك هناك مهمتان تواجهان أولئك الذين يكرهون العبودية التي يُخضع بها النظامُ الصناعي الجنسَ البشري. أولاً، يجب أن نعمل على تصعيد الضغوط الاجتماعية داخل النظام لزيادة احتمالية انهياره أو إضعافه بشكل كافٍ حتى تصبح الثورة ضده ممكنة. ثانيًا، من الضروري تطوير ونشر عقيدة معارضة للتقنية والنظام الصناعي. يمكن أن تصبح مثل هذه العقيدة أساسًا لثورة ضد المجتمع الصناعي إذا وعندما يصبح النظام ضعيفاً بدرجة كافية. ستساعد مثل هذه العقيدة على ضمان أنه في حالة انهيار المجتمع الصناعي، سيتم تحطيم بقاياه بشكل لا يمكن إصلاحه، بحيث لا يمكن إعادة بناء النظام. يجب تدمير المصانع وحرق الكتب التقنية وما إلى ذلك.

المعاناة البشرية

١٦٧. لن ينهار النظام الصناعي نتيجة عمل ثوري بحت. ولن يكون عرضة للهجوم الثوري إلا إذا أدت مشاكله الداخلية الخاصة بالتنمية إلى مصاعب خطيرة للغاية. لذلك إذا انهار النظام فسوف يفعل ذلك إما بشكل تلقائي أو من خلال عملية عفوية جزئيًا ولكن يساعدها الثوار. إذا كان الانهيار مفاجئًا، فسيموت الكثير من الناس، لأن تعداد العالم قد تضخم لدرجة أنه لا يمكنه إطعام نفسه بعد الآن بدون التقنية المتقدمة. حتى لو كان الانهيار تدريجيًا بدرجة كافية بحيث يمكن أن يحدث انخفاض عدد السكان من خلال خفض معدل المواليد أكثر من ارتفاع معدل الوفيات، فمن المحتمل أن تكون عملية إزالة المجتمع الصناعي فوضوية للغاية وتنطوي على الكثير من المعاناة. من السذاجة الاعتقاد بأنه من المحتمل أن يتم التخلص التدريجي من التقنية بطريقة منظمة وبإدارة سلسة، خاصةً وأن مُحبّي التقنية سوف يقاومون بعناد في كل خطوة. فهل من القسوة إذاً العمل من أجل انهيار النظام؟ ربما، ولكن ربما لا. في المقام الأول، لن يكون الثوريون قادرين على تحطيم النظام ما لم يكن بالفعل في مشكلة كافية بحيث تكون هناك فرصة جيدة لانهياره في النهاية من تلقاء نفسه على أي حال؛ وكلما كبر النظام، كلما كانت عواقب انهياره كارثية؛ لذلك قد يكون الثوار، من خلال تسريع بداية الانهيار، سيقللون من مدى الكارثة.

١٦٨. في المقام الثاني، على المرء أن يوازن بين النضال والموت وبين فقدان الحرية والكرامة. بالنسبة للكثيرين منا، تعتبر الحرية والكرامة أكثر أهمية من طول العمر أو تجنب الألم الجسدي. أضف إلى ذلك، علينا جميعًا أن نموت في وقت ما، وقد يكون من الأفضل أن نموت خلال قتالنا من أجل البقاء، أو من أجل قضية، على أن نعيش حياة طويلة ولكنها فارغة وعديمة الهدف.

١٦٩. في المقام الثالث، ليس من المؤكد إطلاقاً أن بقاء النظام سيؤدي إلى معاناة أقل مما قد يؤدي إليه انهيار النظام. لقد تسبب النظام بالفعل، ولايزال يتسبّب، في معاناة هائلة في جميع أنحاء العالم. الثقافات القديمة، التي منحت الناس على مدى مئات السنين علاقة مُرضية مع بعضهم البعض ومع بيئتهم، تحطمت عند تماسها

بالمجتمع الصناعي، وكانت النتيجة قائمة كاملة من المشاكل الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والنفسية. كان أحد آثار اقتحام المجتمع الصناعي هو أن الكثير من الضوابط التقليدية على السكان في العالم أصبحت غير متوازنة. ومن هنا جاء الانفجار السكاني مع كل ما يعنيه ذلك. ثم هناك المعاناة النفسية المنتشرة في دول الغرب التي يُفترض أنها محظوظة (انظر الفقرتين ٤٤ و ٤٥). لا أحد يعرف ماذا سيحدث نتيجة لاستنفاذ طبقة الأوزون، وظاهرة الاحتباس الحراري وغيرها من المشاكل البيئية التي لا يمكن توقعها بعد. وكما أظهر الانتشار النووي، لا يمكن إبعاد التقنية الجديدة عن أيدي الطغاة ودول العالم الثالث غير المسؤولة. هل ترغب في التكهن بما سيفعله العراق أو كوريا الشمالية بالهندسة الوراثية؟

١٧٠. "أوه!" سيقول محبو التقنية، "العلم سيصلح كل ذلك! سوف نتغلب على المجاعة، سنقضي على المعاناة النفسية، سنجعل الجميع بصحة جيدة وسعداء!"... طبعًا أكيد. هذا ما قالوه قبل ٢٠٠ عام. كان من المفترض أن تقضي الثورة الصناعية على الفقر، وتجعل الجميع سعداء، وما إلى ذلك. وكانت النتيجة الفعلية مختلفة تمامًا. محبو التقنية ساذجون بشكل ميؤوس منه (أو يخادعون أنفسهم) في فهمهم للمشاكل الاجتماعية. إنهم غير مدركين (أو يختارون تجاهل) حقيقة أنه عندما يتم إدخال تغييرات كبيرة، حتى التغييرات التي تبدو مفيدة، في المجتمع، فإنها تؤدي إلى سلسلة طويلة من التغييرات الأخرى، والتي يستحيل التنبؤ بمعظمها (الفقرة ١٠٣). والنتيجة هي اضطراب المجتمع. لذلك فمن المحتمل جدًا أنه في محاولاتهم لإنهاء الفقر والمرض، وهندسة شخصيات سهلة الانقياد، وسعيدة وما إلى ذلك، سيخلق محبو التقنية أنظمة اجتماعية مضطربة بشكل رهيب، حتى أكثر من النظام الحالي. على سبيل المثال، يتفاخر العلماء بأنهم سينهون المجاعة من خلال إنشاء نباتات غذائية جديدة معدلة وراثيًا. لكن هذا سيسمح للتعداد البشري بالاستمرار في التوسع إلى ما لا نهاية، ومن المعروف أن الازدحام يؤدي إلى زيادة التوتر والعدوانية. هذا مجرد مثال واحد على المشاكل التي **يمكن التنبؤ بها**. نؤكد أنه، كما أظهرت الخبرات السابقة، سيؤدي التقدم التقني إلى مشاكل جديدة أخرى **لا يمكن** التنبؤ بها مسبقاً (الفقرة ١٠٣). في الواقع، منذ الثورة الصناعية، خلقت التقنية مشاكل جديدة للمجتمع بسرعة أكبر مما كانت تحل

المشاكل القديمة. وبالتالي، فإن الأمر سيستغرق فترة طويلة وصعبة من التجربة والخطأ لمُحبّي التقنية لحل أخطاء عالمهم الشجاع الجديد (إن تمكنوا من ذلك أصلاً). في هذه الأثناء ستكون هناك معاناة كبيرة. لذلك ليس من الواضح على الإطلاق أن بقاء المجتمع الصناعي قد ينطوي على معاناة أقل من انهيار ذلك المجتمع. لقد أوصلت التقنية الجنس البشري إلى مضيق لا يُحتمل أن يكون من السهل الهروب منه.

١٧١. لكن لنفترض الآن أن المجتمع الصناعي قد نجا من العقود العديدة التالية وأن الأخطاء طُردت من النظام في نهاية المطاف، بحيث يعمل بسلاسة. أي نوع من الأنظمة سيكون؟ سننظر في عدة احتمالات.

١٧٢. لنفترض أولاً أن علماء الحاسوب نجحوا في تطوير آلات ذكية يمكنها أن تفعل كل الأشياء بشكل أفضل مما يستطيع البشر القيام به. في هذه الحالة، من المفترض أن يتم تنفيذ جميع الأعمال من خلال أنظمة ضخمة عالية التنظيم من الآلات ولن يكون من الضروري بذل جهد بشري. قد تحدث أيّ من الحالتين. قد يُسمح للآلات باتخاذ جميع قراراتها دون إشراف بشري، أو قد يتم الاحتفاظ بالسيطرة البشرية على الآلات.

١٧٣. إذا سُمح للآلات باتخاذ جميع قراراتها الخاصة، فلا يمكننا إجراء أي تخمينات بشأن النتائج، لأنه من المستحيل تخمين كيف يمكن أن تتصرف هذه الآلات. نشير فقط إلى أن مصير الجنس البشري سيكون تحت رحمة الآلات. قد يُقال إن الجنس البشري لن يكون من الحماقة بمكان لتسليم كل السُلطة للآلات. لكننا لا نقترح أن الجنس البشري سيُسلم السُلطة طواعية للآلات ولا أن الآلات ستستولي على السُلطة عمدًا. ما نقترحه هو أن الجنس البشري قد يسمح لنفسه بسهولة بالانجراف إلى درجة من الاعتمادية على الآلات بحيث لن يكون لديه خيار عملي سوى قبول جميع قرارات الآلات. ولأن المجتمع والمشكلات التي تواجهه أصبحا أكثر وأكثر تعقيدًا، في حين يزيد ذكاء الآلات أكثر وأكثر، سيسمح الناس للآلات باتخاذ المزيد والمزيد من قراراتهم نيابة عنهم، وذلك ببساطة لأن القرارات التي تتخذها الآلة ستحقق نتائج أفضل من تلك التي يقررها الإنسان. في نهاية المطاف، قد يتم الوصول إلى مرحلة تكون فيها القرارات اللازمة للحفاظ على تشغيل النظام معقدة للغاية بحيث لا يستطيع الذكاء البشري القيام بها. في تلك المرحلة ستكون الآلات مسيطرة بالفعل. لن يتمكن الناس من إيقاف تشغيل الآلات، لأنهم سيعتمدون عليها بشكل كبير لدرجة أن إيقاف تشغيلها قد يصل إلى حد الانتحار.

١٧٤. من ناحية أخرى، من الممكن الاحتفاظ بالتحكم البشري في الآلات. في هذه الحالة، قد يتحكم الرجل العادي في بعض الآلات الخاصة به، مثل سيارته أو جهاز الحاسوب الخاص به، ولكن التحكم في الأنظمة الكبيرة من الآلات سيكون في أيدي نخبة صغيرة — تمامًا كما هو الحال اليوم، ولكن مع اختلافين. بفضل التقنيات المُحسّنة، سيكون للنخبة سيطرة أكبر على الجماهير؛ ولأن العمل البشري لن يكون ضروريًا بعد الآن، فإن الجماهير ستكون عبئًا عديم الفائدة على النظام. إذا كانت النخبة قاسية فقد يقررون ببساطة إبادة جموع البشرية. إذا كانوا إنسانيين، فقد يستخدمون الدعاية أو غيرها من التقنيات النفسية أو الحيوية لتقليل معدل المواليد حتى تنقرض الكتلة البشرية، تاركين العالم للنخبة. أو، إذا كانت النخبة تتكون من ضعاف القلوب التحرريين، فقد يقررون لعب دور الرعاة الطيبين لبقية الجنس البشري. سوف يتأكدون من إشباع الاحتياجات الجسدية لكل شخص، أن جميع الأطفال يتم تربيتهم في ظل ظروف نفسية صحية، أن كل شخص لديه هواية مفيدة لإبقائه مشغولاً وأن يخضع أي شخص غير راضٍ لـ "العلاج" لشفاء "مشكلته". بطبيعة الحال، ستكون الحياة بلا هدف لدرجة أنهم سيضطرون لهندسة البشر حيويًا أو نفسيًا، إما لإلغاء حاجتهم إلى عملية السُلطة أو لجعلهم "قانعين" مع سعيهم للحصول على السُلطة في هواية غير مؤذية. قد يكون هؤلاء البشر المُهندَسون سعداء في مثل هذا المجتمع، لكنهم بالتأكيد لن يكونوا أحرارًا. سيكونون قد تم تخفيضهم إلى منزلة الحيوانات الأليفة.

١٧٥. لكن لنفترض الآن أن علماء الحاسوب لم ينجحوا في تطوير الذكاء الاصطناعي، بحيث يظل العمل البشري ضروريًا. حتى مع ذلك، ستهتم الآلات بالمزيد والمزيد من المهام الأبسط بحيث يكون هناك فائض متزايد من العاملين البشريين ذوي المستويات الأدنى من القدرة. (نرى هذا يحدث بالفعل. هناك العديد من الأشخاص الذين يجدون صعوبة أو استحالة الحصول على عمل، لأسباب ذهنية أو نفسية لا يمكنهم اكتساب مستوى التدريب اللازم لجعل أنفسهم مفيدين في النظام الحالي). أما على أولئك الذين يعملون بالفعل، سيتم وضع مطالب متزايدة باستمرار: سوف يحتاجون إلى المزيد والمزيد من التدريب، المزيد والمزيد من القدرات، وسيتعين عليهم أن يكونوا أكثر موثوقية، توافقية، وسهولة في الانقياد،

لأنهم سيكونون أكثر فأكثر مثل خلايا كائن حي عملاق. ستصبح مهامهم تخصصية بشكل متزايد، بحيث يكون عملهم، إلى حد ما، بعيدًا عن العالم الحقيقي، بتركيزهم على شريحة ضئيلة واحدة من الواقع. سيتعين على النظام استخدام أي وسيلة تمكّنه، سواء كانت نفسية أو حيوية، من هندسة الناس ليكونوا طيعين، أن يمتلكوا القدرات التي يتطلبها النظام و أن "ينقلوا" دافعهم للحصول على السُلطة في بعض المهام التخصصية. لكن القول بأن الناس في مثل هذا المجتمع يجب أن يكونوا طيعين قد تتطلب مؤهلات. قد يجد المجتمع القدرة التنافسية مفيدة، شريطة أن يتم إيجاد طرق لتوجيه القدرة التنافسية إلى قنوات تخدم احتياجات النظام. يمكننا أن نتخيل مجتمعًا مستقبليًا توجد فيه منافسة لانهائية على مناصب الوجاهة والسُلطة. لكن لن يصل سوى عدد قليل جدًا من الأشخاص إلى القمة، حيث تكمن القوة الحقيقية الوحيدة (انظر نهاية الفقرة ١٦٣). إنه لمجتمع مُنفّر للغاية ذلك الذي يمكن فيه للفرد أن يلبي حاجته إلى السُلطة فقط عن طريق إبعاد أعداد كبيرة من الناس عن الطريق وحرمانهم من فرصتهم في السُلطة.

١٧٦. بإمكان المرء تصور مجرى للأحداث يتضمن أكثر من جانب واحد من الاحتمالات التي ناقشناها للتو. على سبيل المثال، قد تتولى الآلات معظم العمل الذي له أهمية حقيقية وعملية، ولكن سيتم إبقاء البشر مشغولين من خلال إعطائهم عملاً غير مهم نسبيًا. لقد تم اقتراح، على سبيل المثال، أن التطور الكبير في صناعة الخدمات قد يوفر العمل للبشر. وهكذا سيمضي الناس وقتهم في تلميع أحذية بعضهم البعض، يقودون بعضهم البعض في سيارات الأجرة، يصنعون الحرف اليدوية لبعضهم البعض، يخدمون على طاولات بعضهم البعض، وما إلى ذلك. تبدو لنا هذا كطريقة بغيضة جدًا لينتهي إليها الجنس البشري، ونشك في أن العديد من الناس سيجدون حياة مُرضية في مثل هذا "الإشغال" الذي لا طائل من ورائه. سوف يبحثون عن منافذ أخرى خطيرة (المخدرات، الجريمة، الطوائف، مجموعات الكراهية) ما لم يكونوا قد تم تصميمهم حيويًا أو نفسيًا للتكيُّف مع أسلوب الحياة هذا.

١٧٧. غني عن القول أن مجرى الأحداث المبينة أعلاه لا يستنفذ كل الاحتمالات. إنه يشير فقط إلى أنواع النتائج التي تبدو لنا أكثر ترجيحًا. لكن لا يمكننا تصور أي أحداثٍ معقولةٍ تكون أكثر قبولاً من تلك التي وصفناها للتو. من المحتمل بشكل كبير أنه إذا استمر النظام التقني الصناعي خلال ٤٠ إلى ١٠٠ عام القادمة، فسيكون قد طور في ذلك الوقت خصائص عامة معينة: الأفراد (على الأقل أولئك من الطبقة "الوسطى"، الذين تم دمجهم في النظام ويمكنونه من الآداء، وبالتالي لديهم كل السُلطة) سيكونون أكثر اعتماديةً من أي وقت مضى على المنظمات الكبيرة؛ سيكونون أكثر "اجتماعيةً" من أي وقت مضى وستكون صفاتهم الجسدية والعقلية إلى حد كبير (ربما إلى حد كبير جدًا) هي تلك التي تم تصميمها لهم بدلاً من أن تكون نتيجة للصدفة (أو بإرادة الله، أو أي شيء آخر)؛ وكل ما قد يتبقى من الطبيعة البريّة سوف يتحول إلى بقايا محفوظة للدراسة العلمية ويُحتفظ بها تحت إشراف العلماء وإدارتهم (ومن ثم لن تكون بريّة بالفعل). على المدى الطويل (قل بضعة قرون من الآن)، من المحتمل ألا يوجد جنس البشري ولا أي كائنات أخرى مهمة كما نعرفهم اليوم، لأنه بمجرد أن تبدأ في تعديل الكائنات الحية من خلال الهندسة الوراثية، لا يوجد سبب للتوقف عند أي نقطة معينة، بحيث ستستمر التعديلات على الأرجح حتى يتم تغيير الإنسان والكائنات الحية الأخرى تمامًا.

١٧٨. مهما يكن الأمر، فمن المؤكد أن التقنية تخلق للبشر بيئة مادية واجتماعية جديدة تختلف جذريًا عن طيف البيئات التي كيَّف معها الانتقاء الطبيعي الجنس البشري جسديًا ونفسيًا. إذا لم يتم تكييف الإنسان مع هذه البيئة الجديدة من خلال إعادة تصميمه بشكل صناعي، فسوف يتكيف معها من خلال عملية انتقاء طبيعية طويلة ومؤلمة. الأول أكثر احتمالا بكثير من الأخير.

١٧٩. من الأفضل التخلص من النظام العَفِن بأكمله وتحمل العواقب.

١٨٠. يأخذنا محبو التقنية جميعًا في رحلة متهورة تمامًا نحو المجهول. يفهم الكثير من الناس شيئًا عمّا يفعله التقدم التقني بنا، لكنهم يتخذون موقفاً سلبيًا تجاهه لأنهم يعتقدون بأنه أمر لا مفر منه. لكننا (FC) لا نعتقد أنه أمر حتمي. نعتقد أنه يمكن إيقافه، وسنقدم هنا بعض الإيماءات حول كيفية الشروع في إيقافه.

١٨١. كما ذكرنا في الفقرة ١٦٦، فإن المهمتين الرئيسيتين في الوقت الحاضر هما تعزيز الضغط الاجتماعي وعدم الاستقرار في المجتمع الصناعي وتطوير ونشر عقيدة معارضة للتقنية والنظام الصناعي. عندما يصبح النظام مُرهقاً ومتزعزعًا بدرجة كافية، سيكون حدوث ثورة ضد التقنية ممكناً. سيكون النمط مشابهًا لنمط الثورتين الفرنسية والروسية. أظهر المجتمع الفرنسي والمجتمع الروسي، لعدة عقود قبل ثورات كل منهما، علامات متزايدة من التوتر والضعف. في غضون ذلك، تم تطوير العقائد التي قدمت وجهة نظر جديدة للعالم مختلفة تمامًا عن النظرة القديمة. في الحالة الروسية، كان الثوار يعملون بنشاط لتقويض النظام القديم. عندها، عندما تم وضع النظام القديم تحت ضغط إضافي كافٍ (بسبب الأزمة المالية في فرنسا، الهزيمة العسكرية في روسيا) جرفته الثورة. ما نقترحه هو شيء على نفس المنوال.

١٨٢. من الموضوعي القول بأن الثورتين الفرنسية والروسية كانتا فاشلتين. لكن معظم الثورات لها هدفان. أحدهما تدمير الشكل القديم للمجتمع والآخر هو إقامة الشكل الجديد للمجتمع الذي تصوره الثوار. لقد فشل الثوار الفرنسيون والروس (لحسن الحظ!) في خلق النوع الجديد من المجتمع الذي حلموا به، لكنهم نجحوا تمامًا في تدمير المجتمع القديم. ليس لدينا أوهام حول إمكانية إنشاء شكل جديد ومثالي للمجتمع. هدفنا فقط هو تدمير الشكل الحالي للمجتمع.

١٨٣. لكن من أجل الحصول على دعم حماسي لأي عقيدة، يجب أن يكون لها مثال إيجابي وسلبي. يجب أن تكون لشيء وكذلك ضد شيء. المثال الإيجابي الذي نقترحه هو الطبيعة. إنها الطبيعة البريّة: تلك الجوانب من عمل الأرض وكائناتها الحية المستقلة عن الإدارة البشرية والخالية من التدخل والتحكم البشري. ومع

الطبيعة البرّية، فإننا ندرج الطبيعة البشرية، والتي نعني بها جوانب عمل الفرد البشري التي لا تخضع للتنظيم من قبل المجتمع المنظم ولكنها نتاج الصدفة، أو الإرادة الحرة، أو الله (اعتمادًا على دينك أو آرائك).

١٨٤. تعمل الطبيعة كمثال مضاد تمامًا للتقنية لأسباب عدة. الطبيعة (والتي هي خارج سُلطة النظام) هي عكس التقنية (التي تسعى إلى توسيع سُلطة النظام إلى الأبد). يتفق معظم الناس على أن الطبيعة جميلة؛ بالتأكيد لديها جاذبية شعبية هائلة. إن دعاة حماية البيئة المتشددين لديهم بالفعل عقيدة تمجد الطبيعة وتعارض التقنية. [٣٠] ليس من الضروري من أجل الطبيعة إقامة عالم مثالي خيالي أو أي نوع جديد من النظم الاجتماعية. الطبيعة تعتني بنفسها: لقد كانت خليقة تلقائية وُجدت قبل أي مجتمع بشري بوقت طويل، ولقرون لا حصر لها، تعايشت أنواع مختلفة من المجتمعات البشرية مع الطبيعة دون أن تفعل بها قدرًا كبيرًا من الضرر. فقط مع الثورة الصناعية أصبح تأثير المجتمع البشري على الطبيعة مدمرًا حقاً. لتخفيف الضغط على الطبيعة، ليس من الضروري إنشاء نوع خاص من النظام الاجتماعي، من الضروري فقط التخلص من المجتمع الصناعي. صحيح أن هذا لن يحل كل المشاكل. لقد تسبب المجتمع الصناعي بالفعل في إلحاق أضرار جسيمة بالطبيعة وسيستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى تلتئم الندوب. إلى جانب ذلك، يمكن حتى لمجتمعات ما قبل الثورة الصناعية أن تلحق أضرارًا كبيرة بالطبيعة. ومع ذلك، فإن التخلص من المجتمع الصناعي سيحقق الكثير. سوف يخفف أسوأ الضغوط على الطبيعة حتى تبدأ الندوب في الالتئام. سيزيل قدرة المجتمع المنظم على الاستمرار في زيادة سيطرته على الطبيعة (بما في ذلك الطبيعة البشرية). أيًا كان نوع المجتمع الذي قد يوجد بعد زوال النظام الصناعي، فمن المؤكد أن معظم الناس سيعيشون بالقرب من الطبيعة، لأنه في غياب التقنية المتقدمة لا توجد طريقة أخرى يمكن للناس أن يعيشوا بها. لإطعام أنفسهم يجب أن يكونوا فلاحين أو رعاة أو صيادين وما إلى ذلك، وبصفة عامة، فأنظمة الحكم الذاتي المحلي سوف تزداد، لأن النقص في التقنية المتقدمة والاتصالات السريعة سوف يحد من قدرة الحكومات أو المنظمات الكبيرة الأخرى من السيطرة على المجتمعات المحلية.

١٨٥. بالنسبة للعواقب السلبية للقضاء على المجتمع الصناعي — حسناً، لا يمكنك تناول كعكتك والحفاظ عليها أيضاً. لكسب شيء عليك التضحية بآخر.

١٨٦. معظم الناس يكرهون الصراع النفسي. لهذا السبب يتجنبون القيام بأي تفكير جاد حول القضايا الاجتماعية الصعبة، ويحبون أن تعرض عليهم مثل هذه القضايا بمصطلحات مُبسَّطة، بالأبيض والأسود: **هذا** كله جيد و**ذاك** كله سيء. لذلك يجب تطوير العقيدة الثورية على مستويين.

١٨٧. على المستوى الأكثر تعقيدًا، يجب أن تقدم العقيدة نفسها لأشخاص أذكياء، واعين وعقلانيين. يجب أن يكون الهدف هو خلق نواة من الأشخاص الذين سيعارضون النظام الصناعي على أساس عقلاني ومدروس، مع تقدير كامل للمشاكل والغموض الذي ينطوي عليه، والثمن الذي يجب دفعه للتخلص من النظام. من الأهمية بمكان جذب أشخاص من هذا النوع، لأنهم أشخاص قادرون وسيكونون فعالين في التأثير على الآخرين. يجب مخاطبة هؤلاء الأشخاص على مستوى عقلاني قدر الإمكان. لا ينبغي أبدًا تشويه الحقائق عمدًا ويجب تجنب اللغة المُبالغة. هذا لا يعني أنه لا يمكن استدعاء المشاعر، ولكن عند إجراء هكذا استدعاء، يجب توخي الحذر لتجنب تحريف الحقيقة أو القيام بأي شيء آخر من شأنه تدمير الاحترام الفكري للعقيدة.

١٨٨. على المستوى الثاني، ينبغي نشر العقيدة في شكل مبسط من شأنه أن يمكّن الأغلبية غير المُفكرة من رؤية تضارب التقنية في مقابل الطبيعة بعبارات لا لبس فيها. ولكن حتى في هذا المستوى الثاني، يجب ألا يتم التعبير عن العقيدة بلغة رخيصة جدًا أو مبالغة أو غير عقلانية لدرجة أنها تُنفّر الناس من النوع المفكر والعقلاني. في بعض الأحيان، تحقق الدعاية الرخيصة والمبالغة مكاسب قصيرة المدى مثيرة للإعجاب، لكن سيكون من الأكثر فائدة على المدى الطويل الحفاظ على ولاء عدد قليل من الناس الأذكياء الملتزمين عِوضاً عن إثارة مشاعر غير المفكرين متقلبي المزاج من الغوغاء الذين سيغيرون موقفهم في أقرب وقت يأتي فيه شخص مع حيلة دعائية أفضل.

ومع ذلك، قد تكون الدعاية من النوع التي تثير الغوغائية ضرورية عندما يقترب النظام من نقطة الانهيار ويكون هناك صراع نهائي بين العقائد المتنافسة لتحديد أيها سيصبح مهيمناً عندما تنهار النظرة القديمة إلى العالم.

١٨٩. قبل ذلك النضال النهائي، يجب على الثوار ألا يتوقعوا وجود الأغلبية في صفهم. التاريخ يصنعه أقليات نشطة ومصممة، وليس من قِبل الأغلبية، التي نادرًا ما لديها فكرة واضحة ومتسقة عمّا تريده حقاً. وإلى أن يحين الوقت للدفع النهائي نحو الثورة [٣١]، فإن مهمة الثوار ستكون أقل في كسب التأييد الضحل للأغلبية وأكثر في بناء نواة صغيرة من الناس الملتزمين بشدة. أما الأغلبية فيكفي توعيتهم بوجود العقيدة الجديدة وتذكيرهم بها باستمرار. على الرغم من أنه سيكون من المرغوب فيه بالطبع الحصول على دعم الأغلبية دون الوصول لدرجة إضعاف النواة الصلبة المُكوّنة من الأشخاص الملتزمين بجدية.

١٩٠. أي نوع من الصراع الاجتماعي سيساعد على زعزعة استقرار النظام، ولكن على المرء أن يكون حذرًا بشأن نوع الصراع الذي يشجعه. يجب رسم خط النزاع بين جماهير الشعب من ناحية، ونخبة المجتمع الصناعي من ناحية أخرى (السياسيون، العلماء، رجال الأعمال رفيعو المستوى، المسؤولون الحكوميون، إلى آخره). لا بين الثوار من ناحية وجماهير الشعب من ناحية أخرى. على سبيل المثال، سيكون من التخطيط السيئ للثوريين إدانة الأمريكيين على عاداتهم الاستهلاكية. بدلاً من ذلك، يجب تصوير المواطن الأمريكي العادي على أنه ضحية لصناعة الإعلان والتسويق، الأمر الذي خدعه ليشتري الكثير من الخردة التي لا يحتاجها في مقابل تعويض ضعيف للغاية عن حريته المفقودة. كلا النهجين يتفق مع الحقائق. إنها مجرد مسألة موقف سواء كنت تلوم صناعة الإعلان على التلاعب بالجمهور أو تلوم الجمهور على سماحه بالتلاعب به. كمسألة تخطيطية، يجب على المرء بشكل عام تجنب إلقاء اللوم على الجمهور.

١٩١. ينبغي للمرء أن يفكر مليًا قبل تشجيع أي صراع اجتماعي آخر غير ذلك بين النخبة الممتلكة للسُلطة (التي تُمسك التقنية) وعامة الناس (التي تمارس التقنية سُلطتها عليها). فمن ناحية، تميل الصراعات الأخرى إلى صرف الانتباه عن الصراعات المهمة (بين النخبة السُلطوية والناس العاديين، بين التقنية والطبيعة)؛

من ناحية أخرى، قد تميل الصراعات الأخرى في الواقع إلى تشجيع التقنية، لأن كل جانب في مثل هذا الصراع يريد استخدام القوة التقنية للتقدم على خصمه. يظهر هذا بوضوح في التنافس بين الدول. كما يظهر في النزاعات العرقية داخل الدول. على سبيل المثال، يتوق العديد من القادة السود في أمريكا إلى اكتساب السُلطة للأفارقة الأمريكيين من خلال وضع الأفراد السود في النخبة السُلطوية التقنية. إنهم يريدون أن يكون هناك العديد من المسؤولين الحكوميين السود، العلماء، المديرين التنفيذيين للشركات وما إلى ذلك. وبهذه الطريقة يساعدون في استيعاب الثقافة الفرعية الأفريقية الأمريكية في النظام التقني. بشكل عام، يجب على المرء أن يشجع فقط تلك الصراعات الاجتماعية التي يمكن أن تدخل في إطار صراعات النخبة السُلطوية مقابل الناس العاديين، التقنية مقابل الطبيعة.

١٩٢. لكن طريقة تثبيط النزاع العرقي **لا** تتم من خلال المناصرة المسلحة لحقوق الأقليات (انظر الفقرتين ٢١ و ٢٩). بدلاً من ذلك، يجب على الثوار التأكيد على أنه على الرغم من أن الأقليات تعاني من الحرمان إلى حد ما، إلا أن هذا التمييز له أهمية هامشية. عدونا الحقيقي هو النظام الصناعي التقني، وفي النضال ضد النظام، لا أهمية للتمييزات العرقية.

١٩٣. إن نوع الثورة الذي يدور في أذهاننا لن ينطوي بالضرورة على انتفاضة مسلحة ضد أي حكومة. قد يتضمن أو لا يتضمن عنفاً جسديًا، لكنه لن يكون ثورة **سياسية**. سيكون تركيزها على التقنية والاقتصاد وليس السياسة.

١٩٤. ربما يتوجب على الثوار حتى **تجنب** تولي السُلطة السياسية، سواء بوسائل قانونية أو غير قانونية، حتى يصل الضغط على النظام الصناعي إلى نقطة الخطر ويثبت أنه فاشل في نظر معظم الناس. لنفترض على سبيل المثال أن حزبًا "أخضر" ما فاز بالسيطرة على مجلس شيوخ الولايات المتحدة في الانتخابات. من أجل تجنب خيانة عقيدتهم الخاصة أو تخفيف حدتها، سيتعين عليهم اتخاذ تدابير صارمة لتحويل النمو الاقتصادي إلى انكماش اقتصادي. بالنسبة للرجل العادي، ستبدو النتائج كارثية: ستكون هناك بطالة هائلة، نقص في السلع، وما إلى ذلك. حتى لو أمكن تجنب الآثار السيئة الجسيمة من خلال الإدارة الماهرة الفائقة، فلا يزال يتعين على الناس البدء في التخلي عن الكماليات التي أصبحوا مدمنين لها.

سوف يتزايد الاستياء، سيتم التصويت ضد حزب الخُضر لإبعاده عن المنصب، وسيعاني الثوار من انتكاسة شديدة. لهذا السبب يجب ألا يحاول الثوار اكتساب السُلطة السياسية حتى يُوقع النظام نفسه في مثل هذه الفوضى بحيث يُنظر إلى أي صعوبات على أنها ناتجة عن إخفاقات النظام الصناعي نفسه وليس عن سياسات الثوار. من المحتمل أن تكون الثورة ضد التقنية ثورة من قِبل غرباء (عن الثوار)، ثورة من أسفل وليس من أعلى.

١٩٥. يجب أن تكون الثورة دولية وعلى مستوى العالم. لا يمكن تنفيذها على أساس كل دولة على حدة. عندما يُقترح على الولايات المتحدة، على سبيل المثال، أن تقلل من التقدم التقني أو النمو الاقتصادي، يصاب الناس بالهلع ويبدأون في الصراخ بأنه إذا تخلفنا في التقنية، فإن اليابانيين سيتقدمون علينا. ياللآلات المقدسة! سوف يخرج العالم من مداره إذا باع اليابانيون سيارات أكثر مما نبيعه! (القومية هي مروج كبير للتقنية)* والأكثر منطقية، أنه إذا تأخرت الدول ذات الحكم النيابي نسبيًا في العالم في التقنية بينما استمرت الدول الشمولية السيئة مثل الصين وڤيتنام وكوريا الشمالية في التقدم، فقد يصل الطغاة في النهاية للسيطرة على العالم. لهذا السبب يجب مهاجمة النظام الصناعي في جميع الدول في وقت واحد، إلى الحد الذي قد يكون ذلك ممكناً. صحيح، ليس هناك ما يضمن إمكانية تدمير النظام الصناعي في نفس الوقت تقريبًا في جميع أنحاء العالم، وحتى أنه من الممكن تصور أن محاولة الإطاحة بالنظام يمكن أن تؤدي بدلاً من ذلك إلى هيمنة الطغاة على النظام. هذه هي المخاطرة الذي يجب أن تؤخذ. وتستحق أن تؤخذ، لأن الفرق بين نظام صناعي "نيابي" ونظام يحكمه طغاة صغير مقارنة بالفرق بين نظام صناعي وآخر غير صناعي. [٣٣] بل قد نجادل بأن النظام الصناعي الذي يسيطر عليه الطغاة سيكون مُفضّلاً، لأن الأنظمة التي يسيطر عليها الطغاة أثبتت عادةً عدم فعاليتها، وبالتالي أكثر ترجيحًا بأن تنهار. انظر إلى كوبا.

* المقصود هنا الوطنية وليس القومية بمفهومها الذي تم تشويهه

١٩٦. يجب على الثوريين أن يأخذوا بعين الاعتبار تفضيل الإجراءات التي تميل إلى ربط الاقتصاد العالمي بشكل مُوحَّد. من المحتمل أن تكون اتفاقيات التجارة الحرة مثل الـ NAFTA والـ GATT ضارة بالبيئة على المدى القصير، لكنها ربما تكون مفيدة على المدى الطويل لأنها تعزز الاعتمادية الاقتصادية بين الدول. سيكون من الأسهل تدمير النظام الصناعي على أساس عالمي إذا كان الاقتصاد العالمي مُوحَّدًا لدرجة أن انهياره في أي دولة رئيسية واحدة سيؤدي إلى انهياره في جميع الدول الصناعية.

١٩٧. يعتقد البعض أن للإنسان الحديث الكثير من السُلطة والكثير من السيطرة على الطبيعة؛ يجادلون لموقف أكثر سلبية من جانب الجنس البشري. في أحسن الأحوال، يُعبّر هؤلاء الأشخاص عن أنفسهم بشكل غير واضح، لأنهم يفشلون في التمييز بين سُلطة **المنظمات الكبيرة** وسُلطة **الأفراد والمجموعات الصغيرة**. من الخطأ المجادلة بالعجز والسلبية، لأن الناس **بحاجة** إلى السُلطة. الإنسان الحديث ككيان جماعي — أي النظام الصناعي — لديه سُلطة هائلة على الطبيعة، ونحن (FC) نعتبر ذلك شرًا. لكن **الأفراد** الحديثين **والمجموعات الصغيرة من الأفراد** لديهم سُلطة أقل بكثير مما كان يتمتع به الإنسان البدائي على الإطلاق. بشكل عام، السُلطة الهائلة "للإنسان الحديث" على الطبيعة لا يمارسها الأفراد أو المجموعات الصغيرة ولكن المنظمات الكبيرة. إلى الحد الذي عندما يمارس **الفرد** الحديث العادي سُلطة التقنية، فأنه يُسمح له بالقيام بذلك فقط ضمن حدود ضيقة وفقط تحت إشراف وسيطرة النظام. (أنت بحاجة إلى ترخيص لكل شيء ومع الترخيص تأتي اللوائح والقوانين). يمتلك الفرد فقط تلك السلطات التقنية التي يختار النظام تزويده بها. سلطته الشخصية على الطبيعة ضئيلة.

١٩٨. كان **للأفراد والمجموعات الصغيرة** البدائيين سُلطة كبيرة على الطبيعة؛ أو ربما يكون من الأفضل أن نقول سُلطة **في** الطبيعة. عندما احتاج الإنسان البدائي إلى الطعام، كان يعرف كيفية العثور على جذور صالحة للأكل وإعدادها، وكيفية تتبع الطريدة وصيدها بأسلحة محلية الصنع. كان يعرف كيف يحمي نفسه من البرودة الشديدة، المطر، الحيوانات الخطرة، وما إلى ذلك.

لكن الإنسان البدائي تسبب في ضرر ضئيل نسبيًا للطبيعة لأن **السُلطة الجمعيّة** للمجتمع البدائي كانت ضئيلة مقارنة بالسُلطة **الجمعيّة** للمجتمع الصناعي.

١٩٩. عوضاً من الجدل لأجل العجز والسلبية، ينبغي للمرء أن يجادل بأنه ينبغي كسر سُلطة **النظام الصناعي**، وأن هذا **سيزيد** بشكل كبير من سُلطة وحرية **الأفراد والمجموعات الصغيرة**.

٢٠٠. لحين تحطيم النظام الصناعي تمامًا، يجب أن يكون الهدف **الوحيد** للثوار هو تدمير هذا النظام. الأهداف الأخرى تصرف الانتباه والطاقة عن الهدف الرئيسي. والأهم من ذلك أنه إذا سمح الثوار لأنفسهم بأن يكون لديهم أي هدف آخر غير تدمير التقنية، فسيغريهم استخدام التقنية كأداة للوصول إلى هذا الهدف الآخر. إذا استسلموا لهذا الإغراء، فسيعودون مباشرة إلى الفخ التقني، لأن التقنية الحديثة هي نظام مُوحَّد ومُنظم بإحكام، لذلك، من أجل الاحتفاظ **ببعض** التقنية، يجد المرء نفسه مضطرًا للاحتفاظ **بمعظم** التقنيات، ومن ثم ينتهي الأمر بالتضحية بكميات رمزية فقط من التقنية.

٢٠١. لنفترض على سبيل المثال أن الثوار اتخذوا "العدالة الاجتماعية" كهدف. وبما أن الطبيعة البشرية كما هي عليه، فلن تتحقق العدالة الاجتماعية بشكل تلقائي؛ يجب أن يتم فرضها. من أجل فرضها، يجب على الثوار الاحتفاظ بالتنظيم والسيطرة المركزيين. لذلك سيحتاجون إلى نقل سريع واتصالات على مسافات طويلة، وبالتالي يحتاجون إلى كل التقنية اللازمة لدعم أنظمة النقل والاتصالات. لإطعام الفقراء وكسوتهم، سيتعين عليهم استخدام التقنية الزراعية والتصنيعية. وهكذا دواليك. بحيث تجبرهم محاولة ضمان العدالة الاجتماعية على الاحتفاظ بمعظم أجزاء النظام التقني. لا يعني ذلك أن لدينا أي شيء ضد العدالة الاجتماعية، ولكن يجب ألا يُسمح لها بالتدخل في جهود التخلص من النظام التقني.

٢٠٢. سيكون أمرًا ميؤوسًا منه أن يحاول الثوار مهاجمة النظام دون استخدام **بعض** التقنيات الحديثة. إذا لم يكن هناك شيء آخر، فيجب عليهم استخدام وسائط الاتصال لنشر رسالتهم. لكن يجب عليهم استخدام التقنية الحديثة لغرض واحد فقط: مهاجمة النظام التقني.

٢٠٣. تخيل مدمن كحول يقبع أمامه برميل نبيذ. لنفترض أنه بدأ يقول لنفسه، "النبيذ ليس سيئًا إذا تم استخدامه باعتدال. لماذا، يقولون إن الكميات الصغيرة من النبيذ مفيدة لك! لن يسبب لي أي ضرر إذا تناولت مشروبًا صغيرًا واحدًا فقط...." حسناً، أنت تعرف ما الذي سيحدث. لا تنس أبدًا أن الجنس البشري مع التقنية يشبه مدمن الكحول مع برميل من النبيذ.

٢٠٤. يجب أن ينجب الثوار أكبر عدد ممكن من الأطفال. هناك دليل علمي قوي على أن المواقف الاجتماعية موروثة إلى حد كبير. لا أحد يقترح أن الموقف الاجتماعي هو نتيجة مباشرة للتكوين الوراثي للشخص، ولكن يبدو أن سمات الشخصية موروثة جزئيًا وأن سمات شخصية معينة تميل، في سياق مجتمعنا، إلى جعل الشخص أكثر عرضة للاحتفاظ بهذا الموقف الاجتماعي أو ذاك. وقد أثيرت اعتراضات على هذه الاستنتاجات، لكن الاعتراضات واهنة ويبدو أنها ذات دوافع عقائدية. على أي حال، لا أحد ينكر أن الأطفال يميلون في المتوسط إلى تبني مواقف اجتماعية مماثلة لتلك الخاصة بوالديهم. من وجهة نظرنا، لا يهم كثيرًا ما إذا كانت المواقف قد تم نقلها وراثيًا أو من خلال التنشئة في الطفولة. في كلتا الحالتين يتم نقلها.

٢٠٥. المشكلة هي أن العديد من الأشخاص الذين يميلون إلى التمرّد على النظام الصناعي قلقون أيضاً بشأن مشاكل التضخم السكاني، ومن ثم فهم أكثر قابلية لإنجاب القليل من الأطفال أو عدم إنجابهم. وبهذه الطريقة، قد يسلمون العالم إلى هذا النوع من الأشخاص الذين يدعمون أو على الأقل يقبلون النظام الصناعي. لضمان قوة الجيل القادم من الثوار، يجب على الجيل الحالي إعادة إنتاج نفسه بوفرة. وبفعلهم هذا فإنهم سيزيدون من سوء مشكلة التضخم السكاني بشكل طفيف. والمشكلة المهمة هي التخلص من النظام الصناعي، لأنه بمجرد زوال النظام الصناعي سينخفض عدد سكان العالم بالضرورة (انظر الفقرة ١٦٧)؛ بينما، إذا استمر النظام الصناعي، فسيستمر في تطوير تقنيات جديدة لإنتاج الغذاء قد تمكن سكان العالم من الاستمرار في الزيادة إلى ما لا نهاية تقريبًا.

٢٠٦. فيما يتعلق بالتخطيط الثوري، فإن النقاط الوحيدة التي نصرّ عليها بشكل مطلق هي أن الهدف الأساسي الوحيد يجب أن يكون القضاء على التقنية الحديثة، وأنه لا يمكن السماح لأي هدف آخر بمنافسة هذا الهدف. بالنسبة للبقية، يجب على الثوار اتباع نهج تجريبي. إذا كانت التجربة تشير إلى أن بعض التوصيات الواردة في الفقرات السابقة لن تعطي نتائج جيدة، فيجب عندئذٍ تجاهل تلك التوصيات.

نوعان من التقنية

٢٠٧. الحجّة التي من المحتمل أن تُثار ضد ثورتنا المقترحة هي أنها ستفشل، لأنه (كما يُزعم) عبر التاريخ كانت التقنية تتقدم دائمًا، ولم تتراجع أبدًا، وبالتالي فإن الانحدار التقني مستحيل. لكن هذا الادعاء خاطئ.

٢٠٨. نميّز بين نوعين من التقنية، نسميهما التقنية صغيرة الحجم والتقنية المعتمدة على المنظمة. التقنية الصغيرة هي تقنية يمكن أن تستخدمها المجتمعات الصغيرة دون مساعدة خارجية. التقنية المعتمدة على المنظمة هي تقنية تعتمد على تنظيم اجتماعي واسع النطاق. نحن على دراية بعدم وجود حالات تراجع مهمة في التقنية صغيرة الحجم. لكن التقنية المعتمدة على المنظمة تتراجع عندما ينهار التنظيم الاجتماعي الذي تعتمد عليه. مثال: عندما انهارت الإمبراطورية الرومانية، نجت التقنية الرومانية صغيرة الحجم لأن أي حرفيّ حذق في القرية يمكن أن يبني، على سبيل المثال، عجلة مائية، ويمكن لأي حداد ماهر أن يصنع الفولاذ بالطرق الرومانية، وما إلى ذلك. لكن تقنية الرومان المعتمدة على المنظمة تراجعت بالفعل. سقطت قنواتهم المائية في حالة سيئة ولم يتم إعادة بنائها أبدًا. فُقدت تقنياتهم في بناء الطرق. تم نسيان النظام الروماني للصرف الصحي الحضري، بحيث لم يكن الصرف الصحي للمدن الأوروبية مساويًا لمثل روما القديمة حتى وقت قريب.

٢٠٩. السبب في أن التقنية تبدو وكأنها تتقدم على الدوام هو أنه حتى قرن أو قرنين ربما قبل الثورة الصناعية، كانت معظم التقنية عبارة عن تقنية صغيرة الحجم. لكن معظم التقنية التي تم تطويرها منذ الثورة الصناعية هي تقنية تعتمد على المنظمة. خذ الثلاجة على سبيل المثال. بدون قطع غيار مصنّعة في المصنع أو مرافق متجر أجهزة ما بعد التصنيع، سيكون الأمر مستحيلاً تقريبًا بالنسبة لعدد قليل من الحرفيين المحليين لصنع ثلاجة. إذا نجحوا بمعجزة ما في بناء واحدة، فستكون عديمة الفائدة لهم بدون مصدر موثوق للطاقة الكهربائية. لذلك سيتعين عليهم سد مجرى مائي وبناء مُولِّد. تتطلب المولدات كميات كبيرة من الأسلاك النحاسية. تخيل أنك تحاول صنع هذا الأسلاك بدون آلات حديثة. ومن أين سيحصلون على

غاز مناسب للتبريد؟ سيكون من الأسهل بكثير بناء بيت ثلج أو الحفاظ على الطعام عن طريق التجفيف أو التمليح، كما حدث قبل اختراع الثلاجة.

٢١٠. لذلك من الواضح أنه إذا تم تعطل النظام الصناعي بشكل كامل، فسوف تضيع تقنية التبريد بسرعة. وينطبق الشيء نفسه على التقنيات الأخرى المعتمدة على المنظمة. وبمجرد فقدان هذه التقنية لجيل أو أكثر، سيستغرق الأمر قروناً لإعادة بنائها، تمامًا كما استغرق بناؤها قروناً لأول مرة. الكتب التقنية الناجية ستكون قليلة ومبعثرة. المجتمع الصناعي، إذا تم بناؤه من الصفر دون مساعدة خارجية، لا يمكن بناؤه إلا في سلسلة من المراحل: أنت بحاجة إلى أدوات لصنع أدوات لصنع أدوات لصنع أدوات لصنع أدوات... يتطلب الأمر عملية طويلة من التنمية الاقتصادية والتقدم في التنظيم الاجتماعي. وحتى في حالة عدم وجود عقيدة معارضة للتقنية، لا يوجد سبب للاعتقاد بأن أي شخص سيكون مهتمًا بإعادة بناء المجتمع الصناعي. الحماس من أجل "التقدم" ظاهرة خاصة بالشكل الحديث للمجتمع، ويبدو أنها لم تكن موجودة قبل القرن السابع عشر أو ما يقرب من ذلك.

٢١١. في أواخر العصور الوسطى، كانت هناك أربع حضارات رئيسية كانت بنفس "التقدم" تقريبًا: أوروبا، العالم الإسلامي، الهند، والشرق الأقصى (الصين، اليابان، كوريا). ظلت ثلاث من تلك الحضارات مستقرة إلى حد ما، وأوروبا فقط أصبحت أكثر حركية. لا أحد يعرف لماذا أصبحت أوروبا حركية في ذلك الوقت. المؤرخون لديهم نظرياتهم ولكن هذه مجرد تكهنات. على أي حال، من الواضح أن التطور السريع نحو شكل تقني للمجتمع لا يحدث إلا في ظل ظروف خاصة. لذلك لا يوجد سبب لافتراض أنه لا يمكن إحداث تراجع تقني طويل الأمد.

٢١٢. هل سيتطور المجتمع مرة أخرى إلى شكل تقني صناعي **في النهاية**؟ ربما، ولكن لا طائل من القلق بشأن ذلك، حيث لا يمكننا التنبؤ بالأحداث أو التحكم فيها بعد ٥٠٠ أو ١٠٠٠ عام في المستقبل. يجب التعامل مع هذه المشاكل من قِبل الناس الذين سيعيشون في ذلك الوقت.

خطر اليسارية

٢١٣. بسبب حاجتهم إلى التمرّد والانتماء إلى حركة ما، فإن اليساريين أو الأشخاص من نفس النوع النفسي غالبًا ما يكونون غير منجذبين إلى حركة متمرّدة أو ناشطة لم تكن أهدافها وعضويتها يسارية من البداية. يمكن أن يؤدي تدفق تلك الأنواع اليسارية بسهولة إلى تحويل حركة غير يسارية إلى حركة يسارية، بحيث تحل الأهداف اليسارية محل الأهداف الأصلية للحركة أو تشوهها.

٢١٤. لتجنب ذلك، يجب على الحركة التي تحترم الطبيعة وتعارض التقنية أن تتخذ موقفاً مناهضاً لليسار بشكل حازم وأن تتجنب كل تعاون مع اليساريين. تتعارض اليسارية على المدى الطويل مع الطبيعة البريّة، حرية الإنسان والقضاء على التقنية الحديثة. اليسارية جماعية. إنها تسعى إلى ربط العالم بأسره (كلاً من الطبيعة والجنس البشري) معًا في كيان واحد. لكن هذا يعني إدارة الطبيعة وحياة الإنسان من خلال منظومة مجتمعية، ويتطلب ذلك تقنية متقدمة. لا يمكن أن يكون لديك عالم مُوحَّد بدون النقل والتواصل السريع، لا يمكنك جعل جميع الناس يحبون بعضهم البعض بدون تقنيات نفسية متطورة، لا يمكنك الحصول على "مجتمع مخطط" بدون القاعدة التقنية اللازمة. وفوق كل شيء، فإن اليسارية مدفوعة بالحاجة إلى السُلطة، ويسعى اليساري للحصول على السُلطة على أساس جماعي، من خلال التماهي مع حركة جماهيرية أو منظمة. من غير المحتمل أن تتخلى اليسارية عن التقنية على الإطلاق، لأن التقنية مصدر قيِّم للغاية للسُلطة الجماعية.

٢١٥. الفوضوي* [٣٤] أيضاً يسعى للسُلطة، لكنه يسعى إليها على أساس فردي أو في مجموعة صغيرة. يريد أن يكون الأفراد والمجموعات الصغيرة قادرين على التحكم في ظروف حياتهم. إنه يعارض التقنية لأنها تجعل المجموعات الصغيرة تعتمد على المنظمات الكبيرة.

* الفوضوي المقصود هنا بمعنى "اللاسلطوي"، وليس بالفوضوي بالمعنى المتعارف عليه حاليًا، والمستخدم كأداة من أدوات العنف اليساري بعد أن تغلغلت تلك العقيدة في كثير من الحركات المتمرّدة، كما أشار المؤلف في الفقرة ٢١٣ وسيؤكد لاحقاً في الحاشية، ملاحظة رقم ٣٣

٢١٦. قد يبدو أن بعض اليساريين يعارضون التقنية، لكنهم سيعارضونها فقط طالما أنهم غرباء (عن النظام) وأن النظام التقني خاضع لسيطرة غير يساريين. إذا أصبحت اليسارية هي المهيمنة في المجتمع، بحيث أصبح النظام التقني أداة في أيدي اليساريين، فسيستخدمونها بحماس ويعززون نموها. بفعلهم هذا، سوف يكررون نمطاً أظهرته اليسارية مرارًا وتكرارًا في الماضي. عندما كان البلاشفة في روسيا غرباء، عارضوا بقوة الرقابة والشرطة السريّة، ودعوا إلى حق تقرير المصير للأقليات العرقية، وما إلى ذلك؛ لكن بمجرد وصولهم إلى السُلطة، فرضوا رقابة أكثر صرامة وأنشأوا شرطة سريّة أكثر قساوة من أي من تلك المتواجدة في عهد القياصرة، وقمعوا الأقليات العرقية على الأقل بقدر ما فعل القياصرة. في الولايات المتحدة، قبل عقدين من الزمن عندما كان اليساريون أقلية في جامعاتنا، كان الأساتذة اليساريون من أشد المؤيدين للحرية الجامعية، لكن اليوم، في جامعاتنا حيث أصبح اليساريون مهيمنين، أظهروا أنفسهم أنهم على استعداد لسلب تلك الحرية من الجميع. (هذه هي "الصوابية السياسية"). سيحدث نفس الشيء مع اليساريين والتقنية: سوف يستخدمونها لقمع أي شخص آخر إذا ما وضعوها تحت سيطرتهم.

٢١٧. في الثورات السابقة، كان اليساريون من النوع الأكثر تعطشاً للسُلطة، وبشكل متكرر، تعاونوا أولاً مع الثوار غير اليساريين، وكذلك مع اليساريين ذوي الميول التحررية، ثم قاموا فيما بعد بخيانتهم للاستيلاء على السُلطة بأنفسهم. لقد فعل ذلك روبسبيير* في الثورة الفرنسية، وفعلها البلاشفة في الثورة الروسية، وفعلها الشيوعيون في إسبانيا عام ١٩٣٨، وفعلها كاسترو** وأتباعه في كوبا. بالنظر إلى التاريخ الماضي لليسارية، سيكون من الحماقة تمامًا أن يتعاون الثوار غير اليساريين اليوم مع اليساريين.

* محام ورجل دولة فرنسي ويُعد أحد أكثر الشخصيات تأثيرًا في الثورة الفرنسية

** قائد الثورة الشيوعية ولاحقاً النظام الكوبي

٢١٨. أشار مفكرون مختلفون إلى أن اليسارية نوع من الدين. اليسارية ليست ديانة بالمعنى الدقيق للكلمة لأن العقيدة اليسارية لا تفترض وجود أي كائن خارق للطبيعة. لكن بالنسبة لليساري، فإن اليسارية تلعب دورًا نفسيًا يشبه إلى حد كبير الدور الذي يلعبه الدين عند بعض الناس. اليساري بحاجة إلى الإيمان باليسارية. إنها تلعب دورًا حيويًا في اقتصاده النفسي. لا تتعدل معتقداته بسهولة بالمنطق أو الحقائق. لديه قناعة عميقة بأن اليسارية صائبةً أخلاقيًا وبشكل قاطع، وأن لديه ليس فقط الحق ولكن من واجبه فرض الأخلاق اليسارية على الجميع. (ومع ذلك، فإن العديد من الأشخاص الذين نشير إليهم باسم "اليساريين" لا يعتبرون أنفسهم يساريين ولن يصفوا نظام معتقداتهم على أنه يساري. نستخدم مصطلح "اليسارية" لأننا لا نعرف أي كلمة أفضل لوصف طيف العقائد ذات الصلة التي تشمل الحركات النسوية، حقوق المثليين، الصوابية السياسية، وما إلى ذلك، ولأن هذه الحركات لها علاقة قوية باليسار القديم. انظر الفقرات ٢٢٧-٢٣٠).

٢١٩. اليسارية قوة شمولية. أينما كانت اليسارية في موقع قوة فإنها تميل إلى غزو كل زاوية خاصة وإجبار كل فكرة على التشكل في قالب يساري. يعود ذلك جزئيًا إلى الطابع شبه الديني لليسارية: كل ما يتعارض مع المعتقدات اليسارية يمثل خطيئة. والأهم من ذلك، أن اليسار قوة شمولية بسبب دافع اليساريين للسُلطة. يسعى اليساري إلى إشباع حاجته إلى السُلطة من خلال التماهي مع حركة اجتماعية ويحاول أن يمر بعملية السُلطة من خلال المساعدة في متابعة وتحقيق أهداف تلك الحركة (انظر الفقرة ٨٣). ولكن بغض النظر عن المدى الذي قطعته الحركة في تحقيق أهدافها، فإن اليساري لن يكتفي أبدًا، لأن نشاطه هو نشاط بديل (انظر الفقرة ٤١). أي أن الدافع الحقيقي لليساري ليس تحقيق الأهداف الظاهرية لليسارية. في الواقع، هو مدفوع بإحساس السُلطة الذي يحصل عليه من النضال من أجل، ومن ثم، الوصول إلى هدف اجتماعي. [٣٥] وبالتالي فإن اليساري لا يكتفي أبدًا بالأهداف التي حققها بالفعل. إن حاجته إلى عملية السُلطة تقوده دائمًا إلى السعي وراء هدف جديد. اليساري يريد تكافؤ الفرص للأقليات. عندما يتم تحقيق ذلك، فإنه يصر على المساواة الإحصائية في الإنجاز من قِبل الأقليات. وطالما بقيَ أي شخص يحمل في زاوية ما من عقله موقفاً سلبيًا تجاه أقلية ما، سيتوجب على

اليساري إعادة تثقيفه. والأقليات العرقية ليست كافية. لا يمكن السماح لأي شخص بأن يتخذ موقفاً سلبيًا تجاه المثليين، المعاقين، الأشخاص البدينين، كبار السن، الأشخاص القبيحين وغيرهم وغيرهم. لا يكفي أن يتم إعلام الجمهور بمخاطر التدخين؛ يجب دمغ تحذير على كل علبة سجائر. ثم يجب تقييد إعلانات السجائر إذا لم يتم حظرها. لن يرضي النشطاء أبدًا حتى يتم حظر التبغ، وبعد ذلك سيكون الكحول، ثم الوجبات السريعة، وما إلى ذلك. لقد حارب النشطاء إساءة معاملة الأطفال الجسيمة، وهو أمر معقول. لكنهم الآن يريدون وقف كل الصفع. عندما يفعلون ذلك، سيرغبون في حظر شيء آخر يعتبرونه غير صحي، ثم شيء آخر ثم آخر. لن يرضوا أبدًا حتى يتمتعوا بالسيطرة الكاملة على جميع ممارسات تربية الأطفال. وبعد ذلك سينتقلون إلى سبب آخر.

٢٢٠. افترض أنك طلبت من اليساريين إعداد قائمة **بكل** الأشياء التي كانت خاطئة في المجتمع، ثم افترض أنك أجريت **كل** تغيير اجتماعي طلبوه. من الآمن أن نقول إنه في غضون عامين سيجد غالبية اليساريين شيئًا جديدًا يشكون منه، "شرًا" اجتماعيًا جديدًا يستوجب التصحيح؛ لأن اليساري، مرة أخرى، مدفوع، ليس بالضيق من مشاكل المجتمع، بل بقدر حاجته إلى إرضاء دافعه للسُلطة من خلال فرض حلوله على المجتمع.

٢٢١. بسبب القيود المفروضة على أفكارهم وسلوكهم من المستوى المُفرط لتنشئتهم الاجتماعية، لا يستطيع العديد من اليساريين من النوع المُفرط اجتماعيًا السعي وراء السُلطة بالطريقة التي يفعلها الآخرون. بالنسبة لهم، فإن الدافع إلى السُلطة ليس له سوى منفذ واحد مقبول أخلاقيًا، وهو الصراع لفرض أخلاقياتهم على الجميع.

٢٢٢. اليساريون، ولا سيما من النوع المُفرط اجتماعيًا، هم مؤمنون حقيقيون بنفس معنى كتاب إيريك هوفر*، المؤمن *الحقيقي*. لكن ليس كل المؤمنين الحقيقيين من نفس النوع النفسي كاليساريين. على سبيل المثال، من المفترض أن يكون النازي المؤمن حقاً (بنازيته) مختلفاً تمامًا من الناحية النفسية عن اليساري المؤمن حقاً (بيساريته)، بسبب قدرتهم على التفاني الفردي لقضية ما. إن المؤمنين الحقيقيين هم عنصر مفيد، وربما ضروري، لأي حركة ثورية.

* مفكر أمريكي اهتم بنفسية التنظيمات الجماهيرية

هذه تمثل مشكلة يجب أن نعترف أننا لا نعرف كيف نتعامل معها. لسنا متأكدين من كيفية تسخير طاقات المؤمن الحقيقي لثورة ضد التقنية. في الوقت الحالي، كل ما يمكننا قوله هو أنه لا يوجد مؤمن حقيقي يقوم بتجنيد آمن للثورة ما لم يكن التزامه حصريًا لتدمير التقنية. إذا كان ملتزمًا أيضاً بمُثُل عليا أخرى، فقد يرغب في استخدام التقنية كأداة للسعي وراء تلك المُثُل (انظر الفقرتين ٢٠٠، ٢٠١).

٢٢٣. قد يقول بعض القراء، "هذه الأشياء عن اليسارية هي هراء كبير. أعرف جون وجين من اليسار وليس لديهم كل هذه الميول الشمولية". من الصحيح تمامًا أن العديد من اليساريين، وربما حتى أغلبية أعدادهم، هم أشخاص محترمون يؤمنون حقاً بالتسامح مع قيم الآخرين (إلى حد معين) ولا يرغبون في استخدام الأساليب الاستبدادية للوصول إلى أهدافهم الاجتماعية. ملاحظاتنا حول اليسارية ليس للتطبيق على كل فرد يساري، بل تهدف إلى وصف الطابع العام لليسارية كحركة. الطابع العام للحركة لا يتحدد بالضرورة بالنسب العددية لمختلف أنواع الأشخاص المنخرطين في الحركة.

٢٢٤. الأشخاص الذين يصلون إلى مراكز السُلطة في الحركات اليسارية يميلون إلى أن يكونوا يساريين من أكثر الفئات المتعطشة للسُلطة، لأن الأشخاص المتعطشين للسُلطة هم أولئك الذين يسعون جاهدين للوصول إلى مراكز السُلطة. بمجرد أن تسيطر أنواع المتعطشين للسُلطة على الحركة، سيكون هناك العديد من اليساريين من السلالة الألطف الذين لا يوافقون داخليًا على العديد من تصرفات القادة، لكن لا يمكنهم حمل أنفسهم على معارضتها. إنهم بحاجة إلى إيمانهم بالحركة، ولأنهم لا يستطيعون التخلي عن هذا الإيمان، فهم يتماشون مع القادة. صحيح أن بعض اليساريين لديهم الشجاعة الكافية لمعارضة الاتجاهات الشمولية التي تظهر، لكنهم يخسرون عمومًا، لأن أنواع المتعطشة للسُلطة أفضل تنظيمًا، أكثر قسوة وتحايلاً وقد حرصوا على بناء قاعدة سُلطوية قوية لأنفسهم.

٢٢٥. تجلت تلك الظواهر بوضوح في روسيا والدول الأخرى التي سيطر عليها اليساريون. وبالمثل، قبل انهيار الشيوعية في الاتحاد السوڤيتي، نادرًا ما انتقد اليساريون في الغرب ذلك البلد. إذا تم حثّهم على فعل ذلك فسيعترفون بأن الاتحاد السوڤيتي فعل أشياء كثيرة خاطئة، لكنهم بعد ذلك سيحاولون إيجاد أعذار للشيوعيين والبدء في الحديث عن أخطاء الغرب. لقد عارضوا دائمًا المقاومة العسكرية الغربية للعدوان الشيوعي. احتج اليساريون في جميع أنحاء العالم بقوة على التدخل العسكري للولايات المتحدة في ڤيتنام، لكن عندما غزا الاتحاد السوڤيتي أفغانستان لم يفعلوا شيئًا. ليس لأنهم وافقوا على الأفعال السوڤيتية؛ لكن بسبب إيمانهم اليساري، لم يستطيعوا تحمل وضع أنفسهم في مواجهة الشيوعية. اليوم، في جامعاتنا حيث أصبحت "الصوابية السياسية" مهيمنة، ربما يكون هناك العديد من اليساريين الذين لا يوافقون بشكل خاص على قمع الحرية الجامعية، لكنهم يتماشون معها على أي حال.

٢٢٦. وهكذا فإن حقيقة أن العديد من اليساريين هم شخصيًا معتدلون ومتسامحون إلى حد ما لا يمنع بأي حال من الأحوال اليسارية ككل من أن يكون لها نزعة شموليّة.

٢٢٧. نقاشنا عن اليسارية فيه نقطة ضعف خطيرة. ما زال من غير الواضح ما نعنيه بكلمة "يساري". لا يبدو أن هناك الكثير مما يمكننا فعله حيال ذلك. تنقسم اليسارية اليوم إلى طيف كامل من الحركات الناشطة. ومع ذلك، ليست كل الحركات الناشطة يسارية، ويبدو أن بعض الحركات الناشطة (على سبيل المثال، المتطرفون البيئيون) تشمل شخصيات من النوع اليساري وشخصيات من الأنواع غير اليسارية تمامًا الذين يجب أن يعرفوا أفضل من أن يتعاونوا مع اليساريين. تتلاشى مجموعة متنوعة من اليساريين تدريجيًا إلى أنواع مختلفة من غير اليساريين وغالبًا ما نتعرض لضغوط شديدة لنقرر ما إذا كان فرد معين يساريًا أم لا. يتم تحديد مفهومنا عن اليسارية من خلال المناقشة التي قدمناها في هذه المقالة إلى الحد الذي أمكننا تعريفها به على الإطلاق، ولا يمكننا إلا أن ننصح القارئ باستخدام حكمه في تقرير من هو اليساري.

٢٢٨. لكن سيكون من المفيد سرد بعض المعايير لتشخيص اليسارية. لا يمكن تطبيق هذه المعايير بطريقة قاطعة ونهائية. قد يستوفي بعض الأفراد بعض المعايير دون أن يكونوا يساريين، وقد لا يستوفي بعض اليساريين أيًا من المعايير. مرة أخرى، عليك فقط أن تستخدم حكمك.

٢٢٩. اليساري موجَّه نحو الجماعية الواسعة النطاق. يؤكد على واجب الفرد في خدمة المجتمع وواجب المجتمع في رعاية الفرد. لديه موقف سلبي تجاه الفردانية. غالبًا ما يتخذ نبرة أخلاقية. إنه يميل للحد من الأسلحة، للتربية الجنسية وغيرها من الأساليب التربوية "المستنيرة" نفسيًا، للتخطيط الاجتماعي، للدمج الإجباري، للتعددية الثقافية. يميل إلى التماهي مع الضحايا. إنه يميل إلى أن يكون ضد المنافسة وضد العنف، لكنه كثيرًا ما يجد الأعذار لهؤلاء اليساريين الذين يرتكبون العنف. إنه مغرم باستخدام العبارات الجذابة الشائعة لليسار، مثل "العنصرية"، "التمييز على أساس الجنس"، "رُهاب المثلية"، "الرأسمالية"، "الإمبريالية"، "الاستعمار الجديد"، "الإبادة الجماعية"، "التغيير الاجتماعي"، "العدالة الاجتماعية"، "المسؤولية الاجتماعية". ربما تكون أفضل سمة تشخيصية لليساري هي ميله إلى التعاطف مع الحركات التالية: النسوية، حقوق المثليين، الحقوق العرقية، حقوق المعاقين، حقوق الحيوان، الصوابية السياسية. من شبه المؤكد أن أي شخص يتعاطف بشدة مع كل هذه الحركات هو يساري.[36]

٢٣٠. أخطر اليساريين، وهم أولئك الأكثر تعطشاً للسُلطة، غالبًا ما يتسمون بالغطرسة أو بتقديس عقائدي لأفكارهم. ومع ذلك، فإن أخطر اليساريين على الإطلاق قد يكونون بعض الأشخاص من النوع المُفرط اجتماعيًا الذين يتجنبون العروض المزعجة للعدوانية ويمتنعون عن الإعلان عن يساريتهم، ولكنهم يعملون بهدوء وخفاء لتعزيز القيم الجماعية، التقنيات النفسية "المستنيرة" للتنشئة الاجتماعية للأطفال، اعتماد الفرد على النظام وما إلى ذلك. هؤلاء اليساريون المستترون (كما يمكن أن نسميهم) يقاربون أنواعًا من الطبقة الوسطى معينة فيما يتعلق بالأفعال العملية، لكنهم يختلفون عنهم في النفسية، العقيدة والدوافع. يحاول الطبقيّ الوسطيّ العادي إخضاع الناس إلى سيطرة النظام من أجل حماية أسلوب حياته، أو يفعل ذلك لمجرد أن مواقفه تقليدية. يحاول اليساري المستتر أن يضع الناس

تحت سيطرة النظام لأنه مؤمن حقيقي بعقيدة جماعية. يختلف اليساري المستتر عن اليساري العادي من النوع المُفرط اجتماعيًا من خلال حقيقة أن نزعته التمرّدية أضعف وأن اجتماعيته أكثر إحكامًا. إنه يختلف عن الطبقيّ الوسطيّ العادي من خلال حقيقة أن هناك بعض النقص العميق داخله مما يجعل من الضروري له أن يكرّس نفسه لقضية ويغمر نفسه في الجماعية. وربما يكون دافعه (المستتر جيدًا) للسُلطة أقوى من دافع الطبقيّ الوسطيّ العادي.

ملاحظة ختامية

٢٣١. خلال هذه المقالة، قدمنا تصريحات وبيانات غير محددة والتي وجب أن تكون مصحوبة بكل أنواع المرجعيات والتحفظات؛ وبعض تصريحاتنا قد تكون خاطئة تمامًا. الافتقار إلى المعلومات الكافية والحاجة إلى الإيجاز جعلا من المستحيل علينا صياغة تأكيداتنا بشكل أكثر دقة أو إضافة جميع المرجعيات اللازمة. وبالطبع في مناقشة من هذا النوع، يجب أن يعتمد المرء بشدة على الحكم البديهي، وقد يكون ذلك خاطئًا في بعض الأحيان. لذلك لا ندعي أن هذا المقال يعبر عن أكثر من مجرد تقريب عام للحقيقة.

٢٣٢. سِيّان، نحن على ثقة معقولة من أن الخطوط العريضة العامة للصورة التي رسمناها هنا صحيحة تقريبًا. يجب ذكر نقطة ضعف محتملة واحدة فقط. لقد صورنا اليسارية في شكلها الحديث على أنها ظاهرة خاصة بعصرنا وكعرض من أعراض اضطراب عملية السُلطة. لكن ربما نكون مخطئين بشأن هذا. من المؤكد أن الأنواع ذات الطابع المُفرط اجتماعيًا التي تحاول إرضاء دافعها للسُلطة من خلال فرض أخلاقياتها على الجميع موجودة منذ وقت طويل. لكننا نعتقد أن الدور الحاسم الذي تلعبه مشاعر الدّونية، تدني احترام الذات، العجز، التماهي مع الضحايا من قِبل أشخاص ليسوا هم أنفسهم ضحايا، هو من سمات اليسارية الحديثة. إن التماهي مع الضحايا من قِبل أشخاص ليسوا هم أنفسهم ضحايا يمكن رؤيته إلى حد ما في اليسارية في القرن التاسع عشر والمسيحية المبكرة، ولكن بقدر ما يمكننا معرفته، فإن أعراض تدني احترام الذات، وما إلى ذلك، لم تكن واضحة جدًا في هذه الحركات، أو في أي حركات أخرى كما هو الحال في اليسارية الحديثة. لكننا لسنا في وضع يسمح لنا بتأكيد أن مثل هذه الحركات لم تتواجد قبل اليسارية الحديثة. هذا سؤال مهم يجب على المؤرخين أن يوجهوا انتباههم إليه.

ملاحظات

[١] **(الفقرة ١٩)** نحن نؤكد أن معظم، أو حتى جميع، المتنمرين والمنافسين الذين لا يرحمون يعانون من الشعور بالنقص.

[٢] **(الفقرة ٢٥)** خلال فترة العصر الفيكتوري عانى العديد من الأشخاص المُفرطين اجتماعيًا من مشاكل نفسية خطيرة نتيجة لقمع أو محاولة قمع مشاعرهم الجنسية. يبدو أن فُرويد* بنى نظرياته على أشخاص من هذا النوع. اليوم تحول تركيز التنشئة الاجتماعية من الجنس إلى العدوان.

[٣] **(الفقرة ٢٧)** لا يشمل بالضرورة المتخصصين في الهندسة أو العلوم "التطبيقية".

[٤] **(الفقرة ٢٨)** هناك العديد من أفراد الطبقة الوسطى والعليا الذين يقاومون بعض هذه القيم، ولكن عادةً ما تكون مقاومتهم سريّة. تظهر هذه المقاومة في وسائل الإعلام على نطاق محدود للغاية. الدافع الرئيسي للدعاية في مجتمعنا هو لصالح القيم المعلنة. إن السبب الرئيسي وراء تحول هذه القيم، إذا جاز التعبير، إلى القيم الرسمية لمجتمعنا هي أنها مفيدة للنظام الصناعي. يتم تثبيط العنف لأنه يعطل عمل النظام. يتم تثبيط العنصرية لأن النزاعات العرقية تعطل أيضاً النظام والتمييز يهدر مواهب أعضاء مجموعات الأقليات الذين يمكن أن يكونوا مفيدين للنظام. يجب "معالجة" الفقر لأن الطبقة الدنيا تسبب مشاكل للنظام والاحتكاك بالطبقة الدنيا يقلل من معنويات الطبقات الأخرى. يتم تشجيع النساء على الحصول على وظائف لأن مواهبهن مفيدة للنظام، والأهم من ذلك، لأنه من خلال وجود وظائف منتظمة لهن، تصبح النساء أكثر اندماجًا في النظام ويرتبطن به بشكل مباشر بدلاً من أسرهن. هذا يساعد على إضعاف التضامن الأسري.

* طبيب من أصل يهودي، يُعتبر مؤسس علم التحليل النفسي الحديث

(يقول قادة النظام أنهم يريدون تقوية الأسرة، لكن ما يقصدونه حقاً هو أنهم يريدون أن تكون الأسرة بمثابة أداة فعالة للتنشئة الاجتماعية للأطفال وفقاً لاحتياجات النظام. نحن نجادل في الفقرتين ٥١ و٥٢ أن النظام لا يستطيع تحمل السماح للأسرة أو المجموعات الاجتماعية الصغيرة الأخرى بأن تكون قوية أو مستقلة).

[٥] **(الفقرة ٤٢)** يمكن القول إن غالبية الناس لا يريدون اتخاذ قراراتهم بأنفسهم ولكنهم يريدون من القادة أن يفكروا نيابة عنهم. هناك درجة من الحقيقة في هذا. يحب الناس اتخاذ قراراتهم الخاصة في الأمور الصغيرة، لكن اتخاذ القرارات بشأن الأسئلة الأساسية الصعبة يتطلب مواجهة صراع نفسي، ومعظم الناس يكرهون الصراع النفسي. ومن ثم يميلون إلى الاعتماد على الآخرين في اتخاذ قرارات صعبة. لكن لا يترتب على ذلك أنهم يحبون أن تُفرض عليهم قرارات دون أن تتاح لهم أي فرصة للتأثير على تلك القرارات. غالبية الناس هم أتباع بالفطرة، وليسوا قادة، لكنهم يرغبون في الوصول الشخصي المباشر إلى قادتهم، يريدون أن يكونوا قادرين على التأثير على القادة والمشاركة إلى حد ما في اتخاذ القرارات الصعبة. على الأقل إلى هذه الدرجة يحتاجون إلى الاستقلالية.

[٦] **(الفقرة ٤٤)** بعض الأعراض المذكورة مشابهة لتلك التي تظهر على الحيوانات المحبوسة. لشرح كيفية ظهور هذه الأعراض من الحرمان فيما يتعلق بعملية السُلطة: الفهم المنطقي للطبيعة البشرية يخبر المرء أن الافتقار إلى الأهداف التي يتطلب تحقيقها جهدًا يؤدي إلى الملل وأن ذلك الملل، المستمر لفترة طويلة، غالبًا ما يؤدي في النهاية إلى الاكتئاب. يؤدي الفشل في تحقيق الأهداف إلى الإحباط وتقليل الثقة بالنفس. يؤدي الإحباط إلى الغضب، والغضب إلى العدوانية، غالبًا على شكل إساءة معاملة الزوج أو الطفل. لقد ثبت أن الإحباط المستمر لفترة طويلة يؤدي عادة إلى الاكتئاب وأن الاكتئاب يميل إلى التسبب في الشعور بالذنب، اضطرابات النوم، اضطرابات الأكل والمشاعر السيئة تجاه الذات. أولئك الذين يميلون إلى الاكتئاب يبحثون عن المتعة كترياق؛ ومن هنا نهم اللذة والجنس المُفرط، مع الانحرافات الجنسية كوسيلة للحصول على نشوات جديدة.

يميل الملل أيضاً إلى التسبب في البحث عن المتعة بشكل مُفرط، نظرًا لعدم وجود أهداف أخرى، غالبًا ما يستخدم الناس المتعة كهدف. ما سبق هو تبسيط. الواقع

أكثر تعقيدًا، وبالطبع الحرمان فيما يتعلق بعملية السُلطة ليس السبب الوحيد للأعراض الموصوفة. بالمناسبة، عندما نذكر الاكتئاب فإننا لا نعني بالضرورة اكتئابًا شديدًا بدرجة كافية ليتم معالجته من قِبل طبيب نفسي. في كثير من الأحيان أشكال خفيفة من الاكتئاب تحدث. وعندما نتحدث عن الأهداف فإننا لا نعني بالضرورة أهدافاً طويلة المدى ومدروسة جيدًا. بالنسبة للعديد من الأشخاص أو لمعظمهم عبر تاريخ البشرية، أهداف الوجود المباشر (مجرد تزويد المرء لنفسه وأسرته بقوتهم اليومي) كانت كافية تمامًا.

[٧] **(الفقرة ٥٢)** يجوز إجراء استثناء جزئي لعدد قليل من المجموعات السلبية التي تتطلع إلى الداخل، مثل الآميش* والتي لها تأثير ضئيل على المجتمع الأوسع. بصرف النظر عن هؤلاء، توجد بعض المجتمعات الصغيرة الحقيقية في أمريكا اليوم. على سبيل المثال، عصابات الشباب و "الطوائف". الجميع يعتبرهم خطرين، وهم كذلك، لأن أعضاء هذه الجماعات مخلصون في المقام الأول لبعضهم البعض وليس للنظام، وبالتالي لا يمكن للنظام السيطرة عليهم. أو خذ الغجر. عادةً ما يفلت الغجر من السرقة والاحتيال لأن ولاءاتهم تجعلهم دائمًا قادرين على إقناع الغجر الآخرين بالإدلاء بشهادة "تثبت" براءتهم. من الواضح أن النظام سيكون في مشكلة خطيرة إذا انتمى الكثير من الناس إلى هذه المجموعات.

أدرك بعض المفكرين الصينيين في أوائل القرن العشرين الذين كانوا مهتمين بتحديث الصين ضرورة تحطيم المجموعات الاجتماعية الصغيرة مثل الأسرة، وفقاً لسون يات سن**: "كان الشعب الصيني بحاجة إلى موجة جديدة من الروح الوطنية، والتي من شأنها أن تؤدي إلى لنقل الولاء من الأسرة إلى الدولة...." ووفقاً لما قاله لي هوانغ "كان لابد من التخلي عن الارتباطات التقليدية، لا سيما بالعائلة، إذا ما نشأت القومية*** في الصين". (تشيستر سي تان، "الفكر السياسي الصيني في القرن العشرين"، الصفحة ١٢٥، الصفحة ٢٩٧).

* جماعة دينية أمريكية تحيا بطريقة بدائية

** قائد سياسي وثوري صيني

*** مجددًا، القومية المقصودة هنا هي الوطنية، أي الانتماء للدولة وليس القومية بمفهومها الأصلي

[٨] **(الفقرة ٥٦)** نعم، نحن ندرك أن أمريكا في القرن التاسع عشر كانت تعاني من مشكلات، ومشكلات خطيرة، ولكن من أجل الإيجاز علينا أن نعبّر عن أنفسنا بعبارات مُبسَّطة.

[٩] **(الفقرة ٦١)** نترك "الطبقة الدنيا" جانبًا. نحن نتحدث عن التيار السائد.

[١٠] **(الفقرة ٦٢)** يبذل بعض علماء الاجتماع، المربون، وأخصائيو "الصحة العقلية" ومن في حكمهم قصارى جهدهم لنقل الدوافع الاجتماعية إلى المجموعة (١) من خلال محاولة التأكد من أن كل فرد لديه حياة اجتماعية مُرضية.

[١١] **(الفقرتان ٦٣ و٨٢)** هل صحيح أن الدافع وراء النهم الرهيب للاستهلاك المادي هو أمر اصطنعته صناعة الإعلان والتسويق؟ بالتأكيد لا يوجد دافع بشري فطري لاكتساب المادة. كانت هناك العديد من الثقافات التي رغب فيها الناس في الحصول على القليل من الثروة المادية بخلاف ما كان ضروريًا لتلبية احتياجاتهم الأساسية (السكان الأصليون الأستراليون، ثقافة المزارعين المكسيكيين التقليدية، وبعض الثقافات الأفريقية). من ناحية أخرى، كانت هناك أيضاً العديد من ثقافات ما قبل الصناعة التي لعب فيها اقتناء المواد دورًا مهمًا. لذلك لا يمكننا الادعاء أن الثقافة الموجهة للاستحواذ اليوم هي حصريًا من عمل صناعة الإعلان والتسويق. لكن من الواضح أن صناعة الإعلان والتسويق كان لها دور مهم في خلق تلك الثقافة. لن تنفق الشركات الكبيرة التي تنفق الملايين على الإعلانات هذا النوع من المال بدون دليل قوي على أنها ستسترده في زيادة المبيعات. إلتقى أحد أعضاء فريق (FC)بمدير مبيعات قبل عامين وكان صريحًا بما يكفي ليخبره، "مهمتنا هي جعل الناس يشترون أشياء لا يريدونها ولا يحتاجونها". ثم وصف كيف يمكن لمبتدئ غير مُدرّب أن يقدم للناس حقائق حول منتج ما، ولا يحقق أي مبيعات على الإطلاق، بينما يقوم بائع محترف مُدرّب وذو خبرة بإجراء الكثير من المبيعات لنفس الأشخاص. هذا يدل على أن الناس يتم التلاعب بهم لشراء أشياء لا يريدونها حقاً.

[١٢] **(الفقرة ٦٤)** يبدو أن مشكلة انعدام الهدف قد أصبحت أقل خطورة خلال الخمسة عشر عامًا الماضية أو نحو ذلك، لأن الناس يشعرون الآن بأمان بدني واقتصادي أقل مما كانوا عليه سابقاً، والحاجة إلى الأمن توفر لهم هدفاً. لكن تم استبدال انعدام الهدف بالإحباط من صعوبة تحقيق الأمن. نؤكد على مشكلة انعدام الهدف لأن التحرريين واليساريين يرغبون في حل مشاكلنا الاجتماعية بجعل المجتمع يضمن الأمن للجميع. ولكن إذا كان ذلك ممكناً، فلن يؤدي إلا إلى عودة مشكلة انعدام الهدف. القضية الحقيقية ليست ما إذا كان المجتمع يوفر بشكل جيد أو ضعيف أمن الناس؛ المشكلة هي أن الناس يعتمدون على النظام من أجل أمنهم بدلاً من امتلاكه بأيديهم. هذا، بالمناسبة، هو جزء من سبب انشغال بعض الناس بالحق في حمل السلاح؛ حيازة سلاح يضع هذا الجانب من أمنهم في أيديهم.
[١٣] **(الفقرة ٦٦)** جهود المحافظين لتقليل مقدار اللوائح الحكومية ليست ذات أي فائدة تُذكر للرجل العادي. لسبب واحد، يمكن إلغاء جزء بسيط فقط من اللوائح لأن معظم اللوائح ضرورية. لشيء آخر، فإن معظم إلغاء اللوائح يؤثر على الأعمال وليس الفرد العادي، بحيث يكون تأثيره الرئيسي هو أخذ السُلطة من الحكومة ومنحها للشركات الخاصة. ما يعنيه هذا بالنسبة للرجل العادي هو أن تدخل الحكومة في حياته يتم استبداله بتدخل من الشركات الكبرى، والذي قد تسمح، على سبيل المثال، بإلقاء المزيد من المواد الكيميائية التي تدخل إمدادات المياه الخاصة به وتسبب له السرطان. المحافظون يعاملون الرجل العادي على أنه رجل مُغفل، يستغلون استياءه من الحكومة الكبيرة لتعزيز قوة الشركات الكبرى.
[١٤] **(الفقرة ٧٣)** عندما يوافق شخص ما على الغرض من استخدام الدعاية في قضية معينة، فإنه يسميها "تثقيفاً" أو يطبق عليها بعض التعبيرات الملطفة المماثلة. لكن الدعاية هي دعاية بغض النظر عن الغرض من استخدامها.
[١٥] **(الفقرة ٨٣)** نحن لا نعبر عن موافقتنا أو رفضنا لغزو بنما. نحن نستخدمها فقط لتوضيح نقطة.

[١٦] **(الفقرة ٩٥)** عندما كانت المستعمرات الأمريكية تحت الحكم البريطاني، كانت هناك ضمانات قانونية أقل وأضعف فعالية للحرية مما كانت عليه بعد دخول الدستور الأمريكي حيز التنفيذ، ومع ذلك كان هناك المزيد من الحرية الشخصية في أمريكا ما قبل الصناعية، قبل وبعد حرب الاستقلال، أكثر مما كانت عليه بعد الثورة الصناعية في هذا البلد. نقتبس من "العنف في أمريكا: مقارنة وجهات نظر تاريخية"، من تحرير هيو ديفيس جراهام وتيد روبرت جور، الفصل ١٢ بقلم روجر لين، الصفحات ٤٧٦-٤٧٨: "التعزيز التدريجي لمعايير اللياقة، ومعه زيادة الاعتماد في تطبيق القانون الرسمي (في أمريكا القرن التاسع عشر)... كانت شائعة للمجتمع بأسره... التغيير في السلوك الاجتماعي طويل الأمد وواسع الانتشار لدرجة أنه يشير إلى وجود صلة بأهم ما في المجتمع المعاصر... ذلك هو التحول الصناعي الحضري؛ في عام ١٨٣٥ كان عدد سكان ولاية ماساتشوستس حوالي ٦٦٠,٩٤٠ نسمة، ٨١٪ منهم ريفيون، وأغلبهم من سكان ما قبل المرحلة الصناعية ومن مواليد الولاية. لقد اعتاد مواطنوها على قدر كبير من الحرية الشخصية. سواء كانوا عمال نقل، مزارعين أو حرفيين، فقد اعتادوا جميعًا على وضع جداولهم الخاصة، وطبيعة عملهم جعلتهم مستقلين عمليًا عن بعضهم البعض... لم تكن المشاكل الفردية، الخطايا أو حتى الجرائم سببًا بشكل عام لقلق اجتماعي أوسع..." لكن ضغط الزحف السكاني الثنائي نحو المصانع والمدن، والذي وصل ذروته في عام ١٨٣٥، كان له تأثيره المتعاظم على السلوك الشخصي طوال القرن التاسع عشر وصولاً للقرن العشرين. فالبنسبة للمصانع، تطلب العمل فيه سلوكاً نمطيًا، حياة تحكمها طاعة لإيقاعات الساعة وجداول الدوام، وأوامر رئيس الوردية. أما المدن، احتياجات المعيشة في أحياء مكتظة أعاق العديد من التصرفات التي لم تكن محل اعتراض سابقاً. بل نجد أيضاً أن موظفين المدن هؤلاء، سواء من ذوي الياقات الزرقاء أو البيضاء* في المؤسسات الكبيرة، يعتمدون بشكل متبادل على زملائهم؛ نظرًا لأن عمل رجل واحد يدخل في عمل آخر، فلم يعد عمل رجل واحد ملكاً له.

* ترمز الياقات الزرقاء للعمالة الأدنى شأناً، وتكون في العادة لأعمال جسمانية، في مقابل البيضاء الأعلى شأناً، في العادة مكتبية

كل هذه النتائج المترتبة على التنظيم الجديد للحياة والعمل ظهرت آثارها بشكل واضح بحلول عام ١٩٠٠، عندما تم تصنيف حوالي ٧٦٪ من سكان ماساتشوستس البالغ عددهم ٢,٨٠٥,٣٤٦ نسمة على أنهم سكان حضريون. الكثير من السلوك العنيف أو غير المنتظم الذي كان يمكن تحمله في مجتمع عفوي ومستقل لم يعد مقبولاً في الجو الأكثر رسمية وتعاونية في الفترة اللاحقة... أدى الانتقال إلى المدن، باختصار، إلى إنتاج جيل أكثر قابلية للتتبع وأكثر اجتماعية وأكثر "تحضرًا" من أسلافه.

[١٧] **(الفقرة ١١٧)** المدافعون عن النظام مغرمون بالاستشهاد بالحالات التي تم فيها حسم الانتخابات بأغلبية صوت واحد أو صوتين، ولكن مثل هذه الحالات نادرة.

[١٨] **(الفقرة ١١٩)** "اليوم، في الأراضي المتقدمة تقنيًا، يعيش الرجال حياة متشابهة للغاية على الرغم من الاختلافات المكانية والدينية والسياسية. إن الحياة اليومية لمصرفيّ مسيحي في شيكاغو، ومصرفيّ بوذي في طوكيو، ومصرفيّ شيوعي في موسكو، هي أكثر تشابهًا بكثير بالمقارنة بين حياة أي رجل واحد وآخر عاش قبل ألف عام. هذه التشابهات هي نتيجة لتقنية مشتركة...." ل. سبراج دي كامب، "المهندسون القدماء" طبعة بالانتين، صفحة ١٧. إن حياة موظفي المصارف الثلاثة ليست متطابقة، فالعقيدة لها بعض التأثير. ولكن كل المجتمعات التقنية، من أجل البقاء، يجب أن تتطور على طول المسار نفسه تقريبًا.

[١٩] **(الفقرة ١٢٣)** فقط فكّر في أن مهندس وراثي غير مسؤول قد يصنع الكثير من الإرهابيين.

[٢٠] **(الفقرة ١٢٤)** للحصول على مثال آخر للعواقب غير المرغوب فيها للتقدم الطبي، افترض أنه تم اكتشاف علاج موثوق للسرطان. حتى لو كان العلاج مكلفاً للغاية بحيث لا يمكن إتاحته لأي شخص باستثناء النخبة، فإنها (أي التكلفة) لن تزيد من دافعهم لوقف هروب المواد المسرطنة إلى البيئة.

[٢١] **(الفقرة ١٢٨)** بما أن الكثير من الناس قد يجدون مفارقة في الفكرة القائلة بأن عددًا كبيرًا من الأشياء الجيدة يمكن أن تُنتج شيئاً سيئاً، فإننا نوضح ذلك بقياس. لنفترض أن السيد أ يلعب الشطرنج مع السيد ب، السيد ج، أحد كبار معلمي الشطرنج، ينظر من فوق كتف السيد أ. يريد السيد أ بالطبع الفوز في لعبته، لذلك إذا أشار السيد ج إلى خطوة جيدة ليقوم بها، فإنه يقدم خدمة للسيد أ. لكن افترض الآن أن السيد ج يخبر السيد أ كيف يقوم بجميع تحركاته. في كل حركة بعينها، فإنه يقدم معروفاً للسيد أ من خلال إظهار أفضل حركاته له، ولكن من خلال القيام بكل حركاته من أجله، فإنه يفسد لعبته، لهذا لا فائدة في لعب السيد أ اللعبة على الإطلاق إذا قام شخص آخر بعمل كل حركاته. إن وضع الإنسان المعاصر مشابه لوضع السيد أ. النظام يجعل حياة الفرد أسهل بالنسبة له بطرق لا تُعد ولا تُحصى، ولكنه بذلك يحرمه من التحكم في مصيره.

[٢٢] **(الفقرة ١٣٧)** نحن هنا ننظر فقط إلى تضارب القيم داخل التيار السائد. من أجل التبسيط، نترك القيم "الخارجية" خارج الصورة مثل فكرة أن الطبيعة البريّة أهم من الرفاهية الاقتصادية للإنسان.

[٢٣] **(الفقرة ١٣٧)** المصلحة الذاتية ليست بالضرورة مصلحة مادية. يمكن أن تتألف من تلبية بعض الاحتياجات النفسية، على سبيل المثال، من خلال نشر العقيدة أو الدين الشخصيين.

[٢٤] **(الفقرة ١٣٩)** توضيح: من مصلحة النظام السماح بدرجة معينة من الحرية في بعض المناطق. على سبيل المثال، أثبتت الحرية الاقتصادية (مع الحدود والقيود المناسبة) فعاليتها في تعزيز النمو الاقتصادي. لكن فقط الحرية المخططة والمقيدة والمحدودة هي في مصلحة النظام. يجب أن يظل الفرد مُلجّمًا دائمًا، حتى لو كان اللجام طويلاً في بعض الأحيان (انظر الفقرتين ٩٤ و٩٧).

[٢٥] **(الفقرة ١٤٣)** نحن لا نقصد الإيحاء بأن فعالية أو إمكانية بقاء المجتمع كانت دائما تتناسب عكسيًا مع مقدار الضغط أو عدم الراحة الذي يُخضع المجتمع الناس له. هذا بالتأكيد ليس هو الحال. هناك سبب وجيه للاعتقاد بأن العديد من المجتمعات البدائية أخضعت الناس لضغط أقل مما فعل المجتمع الأوروبي، لكن المجتمع الأوروبي أثبت فعاليته أكثر بكثير من أي مجتمع بدائي، ودائمًا ما فاز في صراعات مع مثل هذه المجتمعات بسبب المزايا التي توفرها التقنية.

[٢٦] **(الفقرة ١٤٧)** إذا كنت تعتقد أن تطبيق القانون الأكثر فعالية هو أمر جيد بشكل لا لبس فيه لأنه يقمع الجريمة، فتذكر حينها أن الجريمة كما حددها النظام ليست بالضرورة ما تسميه **أنت** جريمة. اليوم، يُعد تدخين الحشيشة "جريمة"، وكذلك حيازة سلاح ناري غير مُسجّل في بعض الأماكن في الولايات المتحدة. غدًا، قد يُعتبر حيازة **أي** سلاح ناري، سواء أكان مُسجّلاً أم لا، جريمة، وقد يحدث الشيء نفسه مع أساليب تربية الأطفال المرفوضة، مثل الصفع. في بعض البلدان، يعد التعبير عن الآراء السياسية المعارضة جريمة، وليس هناك من يقين بأن هذا لن يحدث أبدًا في الولايات المتحدة، حيث لا يوجد دستور أو نظام سياسي يدوم إلى الأبد. إذا كان المجتمع بحاجة إلى مؤسسة كبيرة وقوية لتطبيق القانون، فهناك خطأ جسيم في ذلك المجتمع؛ حتمًا أنه يُخضع الناس لضغوط شديدة إذا رفض هذا العدد الكبير اتباع القواعد، أو يتبعها فقط بسبب الإكراه. لقد استمرت العديد من المجتمعات في الماضي بالقليل من قوة إنفاذ قانون رسمية أو عدم وجودها على الإطلاق.

[٢٧] **(الفقرة ١٥١)** من المؤكد أن المجتمعات السابقة كان لديها وسائل للتأثير على السلوك البشري، لكنها كانت بدائية ومنخفضة الفعالية مقارنة بالوسائل التقنية التي يجري تطويرها الآن.

[٢٨] **(الفقرة ١٥٢)** ومع ذلك، أعرب بعض علماء النفس علانية عن آراء تشير إلى ازدراءهم لحرية الإنسان. ونُقل عن عالم الرياضيات كلود شانون* في مجلة "أومني" (أغسطس ١٩٨٧) قوله، "أتخيل وقتاً سنكون فيه للإنسان الآلي كما الكلاب للبشر، وأنا أصفّق لذلك الآلي".

* عالم أمريكي من مؤسسي نظرية المعلومات ويُوصف بالأب الحقيقي للعصر الرقمي

[٢٩] (الفقرة ١٥٤) هذا ليس خيالاً علميًا! بعد كتابة الفقرة ١٥٤، صادفنا مقالاً في مجلة "ساينتفيك أمريكان"، حيث يعمل العلماء على تطوير تقنيات للتعرف على المجرمين المحتملين في المستقبل ومعالجتهم بمجموعة من الوسائل الحيوية والنفسية. يدعو بعض العلماء إلى التطبيق الإجباري للعلاج، والذي قد يكون متاحًا في المستقبل القريب. (انظر "البحث عن العنصر الإجرامي"، بقلم دبليو وايت جيبس، ساينتفيك أمريكان، مارس ١٩٩٥). ربما تعتقد أن هذا لا بأس به لأن العلاج سيُطبق على أولئك الذين قد يصبحون مجرمين عنيفين. لكن بالطبع لن يتوقف الأمر عند هذا الحد. بعد ذلك، سيتم تطبيق العلاج على أولئك الذين قد يصبحون سائقين مخمورين (فهم يعرضون حياة الإنسان للخطر أيضاً)، ثم ربما للقضاء على من يصفعون أطفالهم، ثم على دعاة حماية البيئة الذين يخربون معدات الرصد البيئي، وفي النهاية على أي شخص يكون سلوكه غير ملائم للنظام.

[٣٠] (الفقرة ١٨٤) من المزايا الأخرى للطبيعة كالضدّ المثالي للتقنية أن الطبيعة، في كثير من الناس، تلهم نوعًا من التبجيل كالمرتبط بالدين، بحيث يمكن إضفاء الطابع القدسي على الطبيعة على أساس ديني. صحيح أنه في العديد من المجتمعات كان الدين بمثابة دعم وتبرير للنظام القائم، ولكن من الصحيح أيضاً أن الدين غالبًا ما وفر أساسًا للتمرّد. وبالتالي قد يكون من المفيد إدخال عنصر ديني في التمرّد ضد التقنية، خاصة وأن المجتمع الغربي اليوم ليس له أساس ديني قوي. الدين، في الوقت الحاضر إما يستخدم كدعم رخيص وشفاف للنزعة الشخصية الضيقة قصيرة النظر (يستخدمه بعض المحافظين بهذه الطريقة)، أو حتى يتم استغلاله بشكل ساخر لكسب المال السهل (من قبل العديد من الإنجيليين)* أو تحلل إلى اللاعقلانية الفظة (الطوائف البروتستانتية الأصولية، "الطوائف")** أو ببساطة أصبح راكدًا (الكاثوليكية، البروتستانتية الرئيسية)***.

* نظيرها عندنا من يسمون أنفسهم بالدعاة/التبشيريين ** الجماعات المتشددة *** المؤسسات الدينية المؤدلجة

أقرب شيء إلى دين قوي وواسع الانتشار وحركيّ شهده الغرب في الآونة الأخيرة هو شبه-الدين اليساري، لكن اليسارية اليوم مجزأة وليس لها هدف مُوحِّد ومُلهم. وبالتالي، هناك فراغ ديني في مجتمعنا يمكن أن يكتنفه دين يركز على الطبيعة في معارضة التقنية. ولكن سيكون من الخطأ محاولة اختلاق دين بشكل أساسي ليقوم بهذا الدور. من المحتمل أن يكون مثل هذا الدين المُخترع فاشلاً. خذ ديانة Gaia* على سبيل المثال. هل يؤمن أتباعها بها **حقاً** أم أنهم يلعبون دورًا في تمثيلية؟ إن كان الأمر مجرد تمثيلية، فسوف ينتهون إلى الفشل في آخر المطاف. ربما يكون من الأفضل عدم محاولة إدخال الدين في صراع الطبيعة مقابل التقنية ما لم تؤمن **حقاً** بهذا الدين بنفسك وتجد أنه يثير استجابة عميقة وقوية وحقيقية لدى العديد من الأشخاص الآخرين.

[٣١] **(الفقرة ١٨٩)** بافتراض حدوث مثل هذا الدفع النهائي. يمكن تصور إلغاء النظام الصناعي بطريقة تدريجية أو مجزأة إلى حد ما (انظر الفقرات ٤ و ١٦٧ والملاحظة ٣٢).

[٣٢] **(الفقرة ١٩٣)** بالإمكان تصور (كاحتمالية بعيدة) أن الثورة قد تتكون فقط من تغيير هائل في المواقف تجاه التقنية مما يؤدي إلى تفكك تدريجي وغير مؤلم للنظام الصناعي. إذا حدث هذا سنكون محظوظين للغاية. لكن من المحتمل جدًا أن يكون الانتقال إلى مجتمع غير تقني صعبًا للغاية ومليئًا بالصراعات والكوارث.

[٣٣] **(الفقرة ١٩٥)** يُعتبر الهيكل الاقتصادي والتقني للمجتمع أكثر أهمية بكثير من هيكله السياسي في تحديد الطريقة التي يعيش بها الإنسان العادي (انظر الفقرات ٩٥، ١١٩، والملاحظات ١٦، ١٨).

[٣٤] **(الفقرة ٢١٥)** يشير هذا اللفظ إلى "علامتنا الخاصة" من الفوضوية. تم تسمية مجموعة متنوعة من المواقف الاجتماعية بـ "الفوضويين"، وقد لا يقبل العديد ممن يعتبرون أنفسهم فوضويين بياننا الوارد في الفقرة ٢١٥. يجب أن نلاحظ، بالمناسبة، أن هناك حركة فوضوية غير عنيفة ربما لن يقبل أعضاؤها (FC)كلاسلطوية وبالتأكيد لن يوافقوا على أساليب (FC) العنيفة.

* ديانة تقترب من عبادة الأرض والوثنية بالرغم من عدم تعريف نفسها بذلك

[٣٥] **(الفقرة ٢١٩)** العديد من اليساريين مدفوعون ايضا بالعدائية، لكن تلك العدائية ربما تكون ناتجة جزئيًا عن الحاجة المُحبَطة للسُلطة.
[٣٦] **(الفقرة ٢٢٩)** من المهم أن نفهم أننا نعني الشخص الذي يتعاطف مع هذه الحركات كما هي موجودة اليوم في مجتمعنا. من يعتقد أن النساء، المثليين جنسيًا، وما إلى ذلك، يجب أن يتمتعوا بحقوق متساوية ليس بالضرورة أن يكون يساريًا. إن الحركات النسوية، حقوق المثليين، إلى آخره، الموجودة في مجتمعنا لها نغمة عقائدية خاصة كالتي تميز اليسارية، وإذا كان المرء يعتقد، على سبيل المثال، أن المرأة يجب أن تتمتع بحقوق متساوية، فليس بالضرورة أن يتعاطف المرء مع الحركة النسوية كما هي اليوم.

انتهى